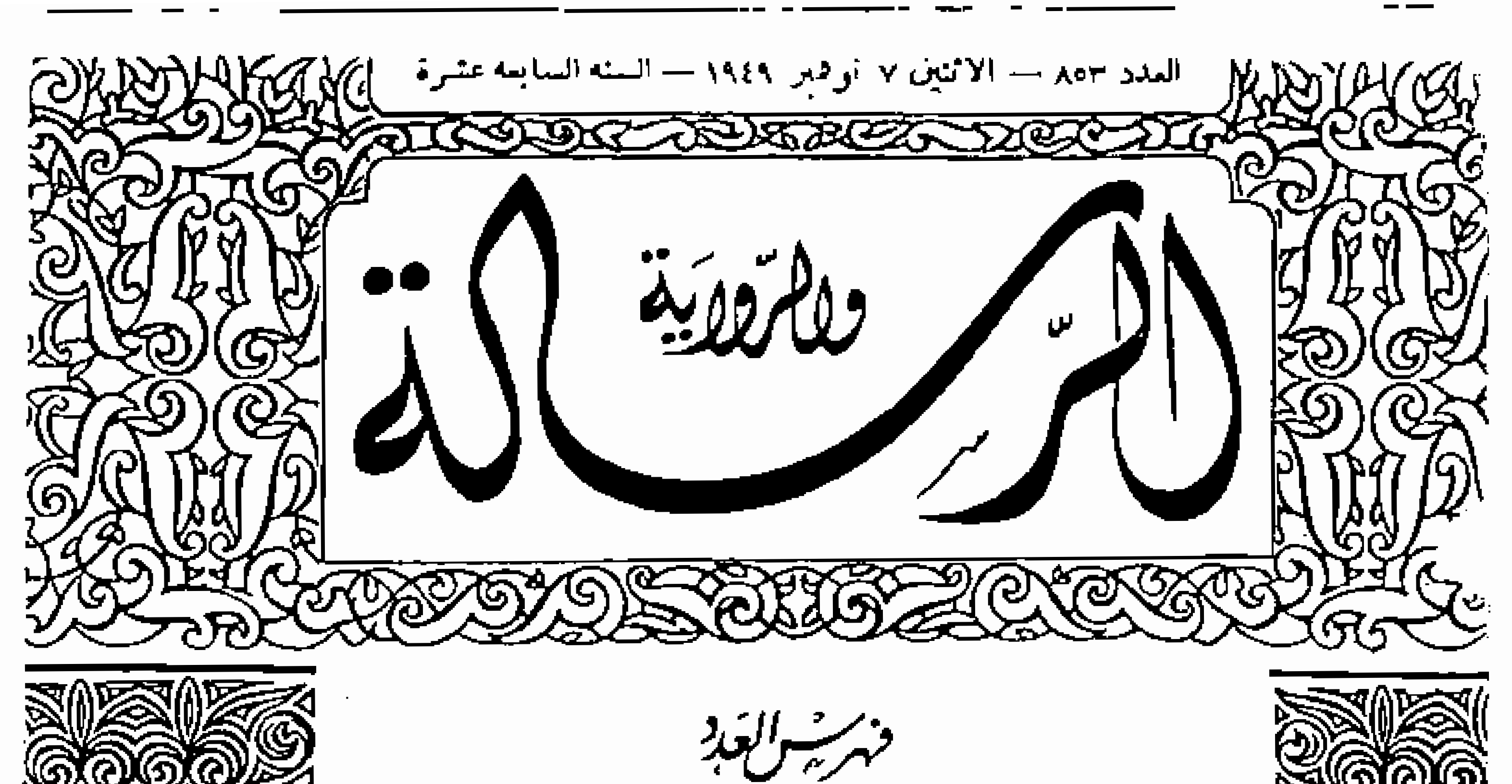
العدد ٨٥٣ — الاثنين ٧ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



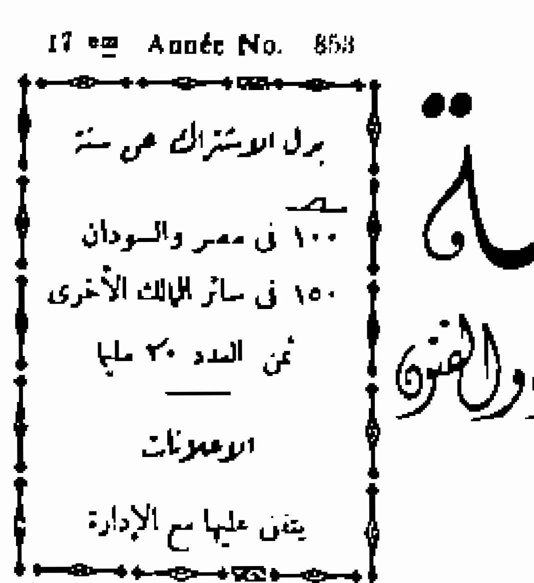
فهرس العدد

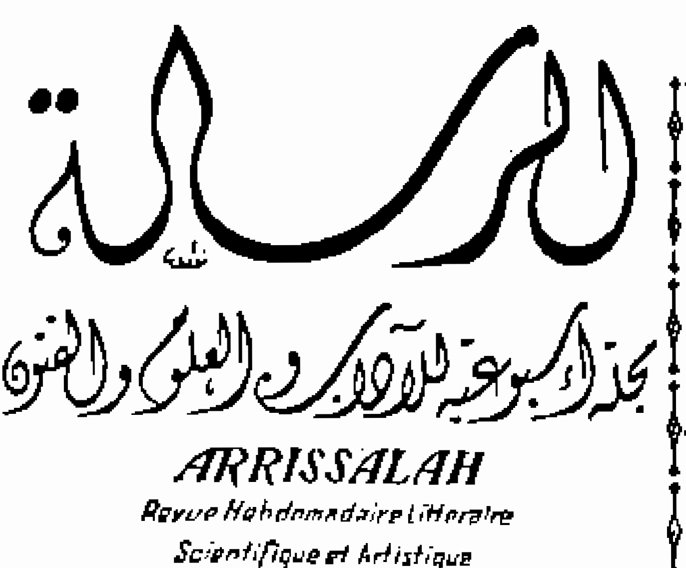
٣٣٠٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 eme Année No. 853

Lundi — 7 — 11 — 1949





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٥٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

تحية القائد المغربي (*)

الأمير عبد الكريم الخطابي

للأستاذ أحمد رمزي بك

وقد جمعت تلك الحاوب قناته فزاد على عجم الخطوب اعتدالها
وما كان محروماً من النصر في الوغى ولكنها الحرب اعتدت وسجالها
ولو شاء إذ ترك المنية سودد لأشوته يوم الهندوان نبالها
غداة يجاريه التقدم في الوغى أبو غالب والخيل تترى رعالها
كأنهما من نصرة وترافد يمينك أعطتها الوفاء شمالها
(البحتري)

بين مدينتي تور وبواتييه(١) حيث المروج الخضراء وفي قلب فرنسا شن الغرب علينا هجومه الشاد سنة ٧٣٢ هجرية ، ومنذ ألف ومائتين وخمسين سنة ، والقتال دائم بيننا ، لا هوادة فيه ولا حماية ولا تسليم ولا رحمة ...

ولكنك يوم دخلت مصر آمناً مطمئناً ، وعبرت مجمع البحرين(٢) : هتفت العروبة في أفريقيا وآسيا لمقدمك ، وقالت اليوم انتهى هجوم شارل مارتل ، وانتقلت أمم الغرب والشرق من خطط الدائمة إلى الهجوم ، نعم في الساعة التي نزلت فيها إلى أرض مصر العربية في تلك اللحظة أيها المجاهد المقاتل ، تراجعت القرون وانحنت أمام إرادة صامتة وقوة لا تقهر ، وبدأنا مرحلة جديدة من الكفاح في سبيل تحرير المغرب ونصرته وعودته إلى حظيرة الوطن الأكبر . فاذكر ذلك اليوم . لأن وراءنا الأزمات تتحدث والنكبات تتوالى ، وملاحقة الشعوب الحرة في عقر ديارها في الجزائر وتونس وطرابلس ومصر ، لقد انتهى كل هذا بمقدمك ، وبدأنا صراعاً آخر نحو الحرية والمجد ، لا تراجع فيه ولا يأس وإنما هو دفعة تتبعها وثبة ، ووثبة لا يقف أمامها في المعترك حائل . لقد نظرت إلى الشاطئ الأفريقي وقلت من ضفاف قناة السويس من هنا يبدأ يوم الفصل : نعم يبدأ(١) هجومنا نحن ، هجوم البطولة والجهاد تحت أعلام الحرية والعروبة والإسلام .

ويوم دخلت القاهرة ، قاهرة المعز لدين الله ، بلد صلاح الدين وبيبرس ، تحركت واستبشرت ، وأتتك الجموع تترى إليك ، أتدري لماذا أيها القائد العظيم ؟

لأنها رأت في وجهك بقية من عبد الرحمن الناصر والمنصور ويوسف بن تاشفين وتطلعت لجبينك فتعرفت على وجوه المرابطين والموحدين ، وسرت بيننا فإذا بكل منا يحس بنفحة من نفحات

(*) كتبت يوم مقدمه ولم تنشر .
(١) مدينتان أوقف عندهما زحف العرب في فرنسا .
(٢) أي قناة السويس .

(١) يتصور الكاتب أن المعركة منذ ارتد العرب لا تزال قائمة وإن ساحل التراجع دامت قرونا حتى نزل الأمير عبد الكريم فانتقل العرب من موقف الدفاع إلى الهجوم مرة أخرى .

الأندلس وأرض الجزيرة الخضراء تغمر نفسه ، وخرجت إلينا فإذا بنا نتصور على جبينك سيوف المجاهدين ومراكز المجدود من أهل المغرب فكأنك واقف ومئات السنين تنحني أمام قوتك ونظراتك ، وكأنك تمثل شهداء معاركنا الخالدة في ألف سنة مضت

عجباً أكلما مددت اليد إليك تمثلك قائداً في رداء الماضي ؟ رأيتك في رداء أهل المغرب الذين انتصروا في يوم الجمعة لثاني عشر خلت من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ورأيت أعلام النصر في الزلاقة[1] وكأنها ترفرف على رأسك : يوم صلى قائدنا ابن تاشفين صلاة الصبح في ذلك السهل الذي شهد آيات البطولة والقوة والبطش في قلب أسبانيا .

ورأيتك يوماً في لباس الموحدين من أهل المغرب ، وهم الذين أسسوا الملك وقادوا الجحافل ودانت لهم الدنيا ، مررت أمام ناظري وكأن الأعلام التي طويت يوم تور وبواتييه ، قد اخترقت ما وراء عالم الغيب والشهادة ، فإذا بها تنشر من جديد وعلى رأسك ترفع ، وكأن أصوات التكبير والتهليل التي ملأت جبال البرانس وصاحبت المسلمين في معاركهم وملاحمهم بالأندلس ، قد تجمعت بقدرة القادر جل وعلا ، وعاد صداها يرن في أذني ويمتد على أرض مصر ذكرى تلك الأيام الخالدة .

لقد أمضينا بأرض الأندلس ثمانية قرون من الزمن ، كانت الحرب سجالا والدنيا قائمة علينا ، تمد عوائدها فهل عرفناها يوماً من الأيام على غير عادتها ، لا لم نعرف للراحة ولا للاطمئنان طعماً ، بل عشناها قروناً والسهام على الأقواس مسددة ، والدماء جارية ، والصدور تتلقى الطاعنات ، والنصال تتكسر على النصال .

وتمثلك يوماً في موقف عبد القادر وهو يدفع المغتصب عن أرض الجزائر ، فقمت أحيي بطولته في شخصك ، وأتمنى لو كنت جندياً أتلقى الأوامر منه .

وأعرض صدري لرصاص الخصم الباغي ، في سبيل هذا الركن الخالد من أركان العروبة ، ترى أكنت تدعوني لحمل السلاح كجندي من جنود المغرب ، فانضم لصفوف كتائبك على بطاح الريف ؟

إذن لوقفت على ربوة عالية أتحدى الأخطار والمهالك والحياة والموت ، لأحيي فيك البطل العظيم والقائد المنتصر رغم أنف المستعمر — ستذكر القاهرة يوم قدمت إليها وحللت ضيفاً معززاً مكرماً فيها ، كيوم من أيامها التي لا تنساها .

والقاهرة لا تنسى من أحبها ، لأن العواطف المتدفقة في قلوب أهلها ثابتة راسخة منذ أيام الفتح الإسلامي الأول ، منذ دخلها عمرو بن العاص فهي حريصة على صداقتها ومودتها بقدر ما هي قوية في البأساء والضراء والشدائد ...

ولذلك سميت القاهرة : لأنها قهرت الحوادث والزمن ، وخرجت ظافرة من المعارك والوقائع الفاصلة ، منصورة في المنصورة وحطين وعين جالوت ... ولقد تعرفت من أول يوم عليك ، وقرأت نفحاتها وروحها نسمة على جبينك وأصبح سكانها أهلك وعشيرتك

فإذا خطرت ببالك سنوات الغربة في جزائر المحيط ، فخفف عنك هنا ، وذكر الخصوم أن أبناء القاهرة أسروا لهم ملكاً يوم المنصورة . بالله سر في قاهرة المعز ، وارفع ناظريك إلى قلعة الجبل ، وتأمل حجارتها : تحدثك أن اثنا عشر ألفاً من أسرى العدو في المعارك والحروب التي انتصر فيها جند مصر الإسلامية ، قطعوا هذه الصخور ورفعوا هذه الحجارة . كانت مواكبهم تمر تحت باب النصر والفتوح ، وأعلامهم منكسة وأيديهم في السلاسل وأعناقهم في الأغلال . أما أنت فقد جعلت لوطنك مراكش حديثاً له دوي في القرن العشرين اهتزت له الدنيا ، فقد هزمت دولتين وحاربت على جبهتين ، وكنت موفقاً في الهجوم والدفاع وبرهنت على أن قلوب أهل الريف أقوى وأثبت في مقاعد القتال من قلوب أعداء الريف .

بل أشهدت العالم أجمع أنهم بحق سلالة المرابطين والموحدين وأبناء أولئك الذين كتب أجدادهم ملاحم الأندلس وأيامها .

أيها الأمير القائد !

من يحلق مثلك فوق شوامخ الجبال وقممها العالية تصغر الدنيا أمام عينيه فتتضاءل الصعاب ، ويبدو الجهاد أمراً سهلاً لأنك بطل من أبطال العروبة والإسلام ونفحة من نفحات بدر .

أحمد رمزي

(١) معركة مشهورة انتصر فيها المسلمون بالأندلس .

أزواج وزوجـــات

للكاتب الانجليزي يوسف أديسون
للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندي

أخبرني صديق ويل هوني كومب منذ أكثر من نصف سنة أن في نيته أن يجرب الكتابة في جريدة السبكتاتور، وأنه يرغب أن تكون كتابته عن طريقي إلى القراء. وفي هذا الصباح تسلمت منه الرسالة التالية. وبعد أن صححت بعض الأخطاء الإملائية فيها، أقدمها إلى القراء.

عزيزي محرر السبكتاتور:

قبل ليلتين كنت في جماعة لطيفة من شباب الجنسين، وكنا نتحدث عن بعض مقالاتك التي كتبتها في موضوع الحب الزوجي، فنشب بيننا نزاع حاد حول عدم وفاء الأزواج في الحياة بالنسبة إلى الزوجات، وقد انبرى أحد المدافعين عن المرأة وقص علينا قصة حصار مشهور في ألمانيا، وقد وجدت إني ذكرتها في معجمي التاريخي كما يلي:

عندما حاصر الامبراطور كونراد الثالث جولفيوس، دوق بافاريا في مدينة هنسبورغ، واتضح للسيدات أن المدينة لن تثبت طويلا، التمسن من الامبراطور أن يسمح لهن بالخروج منها حاملات ما يستطعن حمله. ولما كان الامبراطور واثقاً من أنهن لا يستطعن حمل كثير من الأشياء، فقد أجاز لهن ما التمسن. ودهش الامبراطور من رؤية النسوة وهن خارجات يحملن أزواجهن على أكتافهن! فتأثر من هذا المنظر حتى ذرفت الدموع من عينيه، وبعد أن أشاد بحبهن الزوجي، وهب لهن أزواجهن وعفا عن الدوق.

ولكن السيدات لم يطربن لهذه القصة وسألننا في نفس الوقت، إن كنا نعتقد في قرارة أنفسنا أن رجال أية مدينة في بريطانيا العظمى، لو كانوا في نفس الأزمة، ومنحوا نفس المنحة، هل كانوا يحملون نساءهم أو كانوا يسرون من هذه الفرصة التي أتيحت لهم للتخلص منهن؟ وقد أجاب صاحبي توم وايروت الذي جعل من نفسه محاميا عن جنسنا قائلا: إنهم إن لم يفعلوا ما فعلت السيدات فيستحقون أعنف اللوم مع اعتبار أنهم أقوى منهن وأحمالهم ستكون أخف كثيراً.

وبينما كنا نخوض في أحاديث من هذا النوع تسلية لنفوسنا وقتلا للوقت الذي أصبح مملاً قادنا الحديث، والحديث ذو شجون، إلى أن يتولى كل بدوره توجيه أسئلة يجب على الآخرين الإجابة عنها. ولما حان دوري أمرت كل السيدات حسب السلطة المخولة لي أن يخبرن الجماعة بصراحة تامة عن الشيء الذي يفعلنه لو أنهن كن في هذا الحصار المذكور وأجيز لهن ما أجيز لتلكم السيدات، فما الذي تأخذه كل منهن على اعتبار أنه جدير بالإنقاذ؟ وقد أجبن إجابات طريفة عن سؤالي أبهجتنا حتى وقت النوم. وقد ملأت هذه الإجابات رأسي بالأفكار المشوشة فحلمت بعد أن نمت الحلم التالي.

رأيت مدينة في هذه الجزيرة — ليس لها اسم — محاصرة من كل الجهات وقد أجبر ساكنوها وضويقوا حتى ضجوا يطلبون لهم ملجأ يحميهم. وقد رفض القائد أي حل سوى تلك المنحة التي ذكرناها في حكاية هنسبورغ أي أن كل سيدة لها الحق أن تخرج آخذة معها ما تراه يستحق الإنقاذ.

وعلى حين غرة فتح الباب فظهر صف طويل من السيدات تتبع إحداهن الأخرى يتمايلن تحت أحمالهن. وقد أخذت مكاني على مرتفع في مخيم العدو في المكان الذي عينه القائد لمقابلة النسوة للنظر فيما يحملن. وكنت شديد الرغبة في رؤية هذه الأحمال.

كانت أولاهن تحمل كيساً على كتفيها، فقد جلست لتفتحه بكل عناية، وبينما كنت أنتظر أن أرى زوجها خارجاً منه، وجدته مملوءاً بالأواني الصينية. وبعث الأخرى بقوامها تحمل شاباً جميلاً على ظهرها وقد أكبرت هذه السيدة لحبها زوجها، ولكن دهشتي كانت بالغة أقصاها عندما اتضح أنها تركت زوجها المسكين في البيت وحملت صاحبها. وأقبلت الثالثة من بعد بوجهها الجاف، فنظرت إلى حملها الذي لم أشك في أنه زوجها، ولكن بعد أن أنزلته من كتفيها سمعتها تناديه بعزيزي بك فإذا به كلبها المدلل، إذ يبدو أن زوجها كان في غاية الضخامة فرأت في جلب هذا الكيوبيد الصغير تجنباً لكثير من المزعجات. وكانت التالية زوجة رجل فاحش الغنى، وقد حملت معها حقيبة مملوءة بالذهب،

ثورة الطبيعة وثورة المجتمع

للدكتور محمد يحيى الهاشمي

كم من تشابه بين حوادث الطبيعة وحوادث المجتمع ! وهل المجتمع إلا جزء من عالم الطبيعة وخلية من الخلايا المتعددة التي تشكل هذا العالم الكبير الواضح بظاهره والخفي بأسراره ومعمياته ؟ وكما يسود التطور في نظام الطبيعة على اختلاف أشكالها وتباين أنواعها ، يسود في نظام المجتمع والهيئات البشرية هذا القانون . هكذا نجد انتقالا وتصعداً في سلم الرقي خطوة خطوة ودرجة فدرجة . أما الطريق في العالمين بعيد ، وليس من هدف ولا غاية ، وما المكان الذي نظنه نهاية المطاف ما هو في الحقيقة إلا مرحلة انتقالية إلى مرحلة أخرى . الطبيعة تمشي والمجتمع يسير ، لا يعرفان الوقوف ولا السكون ولا الراحة ولا الاستقرار ، وما الاستقرار الظاهري إلا دور يهيئ إلى دور آخر ؛ فكل ما يقع عليه بصرنا أو تدركه بصيرتنا ، يسطو عليه دوما ناموس الجريان والتغير الدائم .

إن هذه التغيرات البطيئة جداً تدق حتى عن فهم الذكي ، ولكن لدى النظارة الصبيقة وتتبع الحوادث الطويلة نجد كل ما على سطح الأرض تابعاً للتغير والتبدل ، فلا شيء يبقى على حاله الأصلي فالجبال التي يضرب بها المثل في الثبوت لا تبقى مكانها ، بل بتعاقب الأحقاب الطويلة تتزلزل وتصبح سهولا وترتفع السهول فتصبح وهاداً فنجاداً فهضاباً إلى أن تكون جبالا شاهقة تتخللها الوديان السحيقة ، وكثيراً ما جف بعض المناطق البحرية ، فتصبح براً والبر يتحول إلى بحر ، وهكذا فإن التبدلات الجزئية التي تظهر للناظر السطحي كشيء تافه لا قيمة له ، تكون بتعاقب ملايين السنين انقلاباً خطيراً يدهش الأنظار ، ويكاد لا يصدق الانسان ما كانت عليه بعض المرتفعات الشاهقة في الماضي لولا الحيوانات البحرية التي بادت وتركت معالمها بين طبقات الأحجار .

قياسا على ما بينا فإن الأمم تتغير وتتبدل ، وبتأثير الأفكار المادية الرزينة تنتقل من طور إلى طور وذلك بتعاقب الأجيال

وأخبرتنا أن زوجها قد بلغ من العمر أرذله ، وبحسب قانون الطبيعة لن يعيش طويلا ، ولتريه عظم حبها له أنقذت ما يحبه المسكين أكثر من حياته . وكانت الأخرى تحمل ابنها على ظهرها ، وقيل لنا إنه من أعظم التجار الأشرار في المدينة ، ولكن على مثل هذا الحنان جبلت الأمهات الرقيقات ، فقد تركت خلفها أسرة عامرة بالأمل ومؤلفة من زوج وبنين وبنات لأجل هذا المخلوق الشرير .

ولو تركت لقلمي العنان أن يسجل ما رأيت في هذا الحلم الغريب لما انتهيت من السرد والوصف ، فقد امتلأ المكان حول برزم مربوطة وحرائر مشجرة ومطرزات وعشرة آلاف من مواد أخرى كافية لأن تملأ شارعاً بمخازن مملوءة بالمدى . وأقبلت إحدى السيدات تحمل زوجها الذي لم يكن ثقيلا وتحمل في الوقت نفسه علاوة على ذلك ربطة كبيرة من الأشرطة الحريرية الهولندية ، وعندما ضاقت بحملها ووجدت أنها لا تستطيع الاحتفاظ بكليهما أسقطت بعلها الصالح وحملت الأشرطة وتابعت سيرها . وبالاختصار لم أجد سوى زوج واحد مع هذه الأمتعة وكان إسكافياً نشيطاً . لقد كان يرقص ويهمز رجليه وهو محمول على أكتاف زوجته ، وقيل لي بعدئذ إن يوماً من أيام حياتها لم يمر دون أن يعاقبها بالضرب الشديد .

ولن أستطيع إتمام هذه الرسالة يا صديقي المحرر من غير أن أخبرك عن خاطر عجيب مر بي في رؤياي . فقد رأيت كما خيل إلي عشرات النساء منهمكات في سحب رجل واحد لم أتبينه أول وهلة حتى اقترب مني وبانت ملامحه فإذا به أنت . وقد صرحن أن ذلك لأجل انتاجك الأدبي ، وليس لشخصك ، على شرط أن تسترق تحرر السيكتاتور . فإذا وجدت في هذا الحلم ما يلائمك فهو تحت تصرفك يا عزيزي المحرر ، وأنا صديقك في النوم واليقظة .

ويل هوني كومب

سيرى السيدات كما خبرتهن كثيراً ، أن (ويل) رجل من الطراز القديم في التهكم والمجون في المدينة ، وهو هنا يظهر مواهبه بالتهكم على الزواج كرجل جرب حظه مراراً عديدة في هذا المضمار وخاب . وعلى كل حال لم أستطع إهمال رسالته لأن القصة الحقيقية التي بنى عليها رسالته مما يرفع رأس المرأة عالياً ، وأنه في سبيل إخلاصهن قد جنح به النطق إلى الرؤى والخيال .

(بغداد) ماهرة النقشبندي

والعصور ، ولولا مادونه لنا التاريخ في قرون مضت ، أو بعض الآثار الباقية عن الأمم الخالية ، لما عرفنا ما كانت عليه الشعوب والحضارات الماضية .

ثم إن بعض الأمم قد تدنت عما كانت عليه من قبل ، كاليونان الذين كانوا يحملون مشعل العلم والفن ، أو كالرومان الذين شيدوا الممالك وأوجدوا التشاريع ، أو كالأمة العربية التي أخذت عن الأمم السالفة ما أخذت وأبدعت من ذاتها ما أبدعت وساهمت في تشييد صرح المدنية الحاضرة ، ولكننا إذا اعتبرنا البشرية بأجمعها أسرة واحدة ورثت كل أمة عن الأخرى ماورثت فعند ذلك نميل إلى الإعتقاد بالتقدم الدائم والتطور المستمر .

هذا التطور البطيء هو من سنة الكون ، ولكن بجانب ذلك نشاهد في عالم الطبيعة وعالم المجتمع من انقلاب فجائي واندفاع آني يدك الأرض دكا ويغير معالمها . إن هذه النهضة تنفضها الطبيعة في انفجار البركان وفي الزلزال الأرضي يذهب ضحيتها في كثير من الأحيان كثير من الكائنات الحية . وفي عالم الاجتماع نشاهد ذلك أيضاً في الانقلابات الاجتماعية التي تكون عند الاختراعات العظيمة أو عند اليقظة الفكرية . ولعل حاجتنا في هذا العصر الذي قطعت فيه أوربا في سبيل الرقي والتقدم ما قطعت من الخطوات الواسعة ، إلى انقلاب في جميع طرز حياتنا لأعظم من أي عصر، لأن بلاد الغرب قطعت تلك المراحل في قرون عديدة .

أما نحن ، فان حاجتنا أن نأخذ النتائج كما هي ، ومن بعد ذلك نسعى في الإبداع وإظهار قابليتنا . فإذا أردنا أن ننتظر الزمن وتبدلاته البطيئة فلن نلحق بركاب الغرب . عند ذلك نبقى متأخرين عن الأمم الراقية أبد الآبدين . فالأرض تثور لتخرج ما في جوفها من لظى مستعر ، والمجتمع يثور ليطلق ما في قلبه من نار متأججة مبدلا بها معالم حياته . وكم من تشابه بين الطبيعة والمجتمع . تندفع المياه إلى النيران المستعرة في جوف الأرض فتتشكل الأبخرة وتتراكم إلى أن تنطلق بقوة وعنف ، وكذلك تتجمع الأفكار في الأدمغة إلى أن تنطلق بقوة فعالة فتدك المعالم القديمة لتبنى فوق أنقاضها عالما جديداً على أساس عميق . وما أعمق ثورة الإنسان ، وما أشد حاجته إلى أن يبني بناء المجد الشامخ على أساس ثابت ! وكلما سمت الشجرة في السماء تحتاج إلى جذر عميق في الأرض، منبعث عن توق للتجدد واشتياق كامن في النفوس إلى الحياة . ولا يعد من أبنائها إلا من تاق لها وقدرقيمها . أما من لم يتق إلا للفناء ففي قرارة نفسه على رأي بعض الأدباء المعاصرين فراغ رهيب وصدى فناء صارخ بصوت القبور ، ونشاط أجوف يبتلع القيم ، ناقم على الوجود . ويقاس الناس في عمل كل إصلاح بالنسبة إلى إيجابيتهم وأهليتهم للبناء ومساهمتهم في الفوضى . المدمرون كثيرون وأما البناؤون فقلائل . ودعاة الفوضى لا يحصى لهم عدد ؛ أما الإيجاب فطريقه طريق الحياة ولو جاءت الحياة من طريق التدمير .

في النهضة المنبثة عن الحياة النابضة انطلاق وثاب ونفس ضاقت بما فيها فانفجرت في قوة مكتسحة بناءة تتجه نحو الخير والجمال ، وتدوس في سبيل بلوغها بقايا الفساد القائمة . شتان بين من يهدم ليهدم وبين من يهدم ليبني ، ففي أحشاء الأول فناء وفي أحشاء الثاني حياة وارتقاء . يثور الأول ليحطم ، فلن يلبث أن يبتلع نفسه . أما الساعي للبناء ففي أحشائه امتلاء دفاق ، فيعطي عطاء سخياً ، ولا تكون الحياة إلا حيث يكون العطاء .

في انطلاق البراكين مواد هامة لبناء القشرة الأرضية ، حتى أن دورة الماء لا تقف عند سطح الأرض ، بل ثبت أن الحياة الإندفاعية الباطنية لتشترك في الدورة المائيــة ، وفي الأحقاب التي كان فيها اندفاع البراكين على أشده كانت المياه أشد غزارة . في اندفاع الينابيع الفوارة إرواء للأرض وللكائنات الحية على سطحها ، وفي الفيضانات الطاغيــة سماد لها لتزداد قوة الإنبات فيهـا ، رغم ماتجره تلك السيول الطاغية على الحقول والبساتين والمنازل من الأضرار والتخريب . حتى أن في الزلازل المخيفة فائدة في تكييف شكل الأرض .

إن في النهضات الإجتماعية أيضاً والثورات الفكرية أضراراً جزئية لا يخلو منها انقلاب من الانقلابات ، ولكن الحوادث تتراءى لنا مكرة إذا نظرنا إليها بمنظار أنانيتنا ، أما إذا نظرنا إليها بمنظار المصلحة العامة والخير الشامل ، عند ذلك يتلاشى من نفوسنا حب الذات والأثرة ونترك أموراً خافية عنا .

قد يكون في النور الشديد الظل المديد ، وجذر الانقلاب العميق هو في النفس ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

(بغداد) محمد يحيى الهاشمي

شياطين الشـــعراء [*]

الأستاذ أحمد محمد الحوفي

عبقر — شيطان الشعر — شياطين بعض الشعراء — شياطين شعراء الإفرنج — العقل الباطن .

— ١ —

الشعر وحي وفيض وإلهام ، وهو إذا ما صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة ، فلا أثر للإرادة فيه ، أو أثرها فيه أضعف من تأثير الذوق والطواعية والاستعداد من أغوار النفس واللاشعور .

وقد نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن ، وتخيلوا أن عبقر واديهم ومقامهم ، وقالوا في الأمر العظيم عبقري ، فلا عجب أن يصلوا الشعر بالجن ، ولا عجب أن يتخيلوا أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض . ولكن للشعر شيطانين : أحدهما مجيد واسمه الهوبر ، والآخر مفسد واسمه الهوجل ، وكانت عقيدتهم هذه معلومة في العصر الإسلامي ، فقد روى أن رجلاً من تميم أتى الفرزدق وقال له : إني قد قلت شعراً فاسمعه قال : أنشدني فقال :

ومنهم عمر المحمود نائله ... كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ، ثم قال : يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره ، وقد اجتمعا لك في هذا البيت ، فكان معك الهوبر في أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت[1] .

وقد سموا الشعر رقى الشياطين ، قال جرير :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطاني من الجن راقياً

وقال آخر :

ماذا يُظنّ بسلمى إذ يُلمّ بها ... مُرَجّل الرأس ذو بُردين وضّاح
خرْق عمامته حلوٌ فكاهته ... في كفه من رقى الشيطان مفتاح

وصرح كثير منهم في العصر الجاهلي وفيما بعده بأن شياطينهم تلهمهم أفانين القول ، قال الراجز :

إني وإن كنت صغير السن ... وكان في العين نبوٌّ عني
فإن شيطاني أمير الجن ... يذهب بي في الشعر كل فن[1]

وقال حسان في جاهليته يعزو إلى شيطانه أنه قائل بعض شعره :

إذا ما ترعرع فينا الغلام ... فما إن يُقال له : من هوه ؟
إذا لم يسد قبل شد الإزار ... فذلك فينا الذي لا هوه
ولي صاحب من بني الشيصبان ... فطوْراً أقول ، وطوراً هوه

وقال جرير :

إني ليُلقي عليّ الشعر مكتهل من الشياطين

— ٢ —

ولم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى الشياطين ، بل سموْها ، فكان لكل شاعر شيطانه المسمى . فشيطان الأعشى مسحل ، وشيطان عمرو بن قطن جهنام ، قال الأعشى :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له ... جهنام ، بعداً للغوى المذمم[2]

وشيطان المخبل السعدي عمرو ، قال الشاعر الإسلامي :

لقد كان جنيُّ الفرزدق قدوة ... ولا كان فينا مثل فحل المخبل
ولا في القوافي مثل عمرو وشيخه ... ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسحل

وشيطان عبيد بن الأبرص هبيد ، وهو نفسه شيطان بشر بن أبي خازم وينسبون إليه :

أنا ابن الصلادم أدعى الهبيد ... حبوت القوافي قَرْمَى أسد
عبيداً حبوت بمأثورة ... وأنطقت بشرا على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ... ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة ... فهل تشكر اليوم هذا معد ؟[3]

وسأله الراوي : أما عن نفسك فقد أخبرتني ، فأخبرني عن مدرك ، فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمي .

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ بن لاحظ ، وشيطان زياد الذبياني هاذر[4] ونسبوا إلى أبي نواس أنه كان يستعين بإبليس في نظم الشعر ، ورووا له أبياتاً منها :

دعوت إبليس ثم قلت له ... في خلوة والدموع تنحدر :

(*) من كتاب « الحياة العربية من الشعر الجاهلي » الذي يظهر في هذا الأسبوع .

(١) جمهرة أشعار العرب ٣٠

(١) رسائل أبي العلاء ١٠٠ (٢) رسائل أبي العلاء ١٠٥

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ ، ٣٠ (٤) الجمهرة ٢٣ .

أما ترى كيف قد بليت، وقد قرح جفني البكاء والسهر؟
إن أنت لم تلق لي المودة في صدر حبيبي وأنت مقتدر
لا قلت شعراً ولا سمعت غناً ولا جرى في مفاصلي السكر
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتاني الحبيب يعتذر(١)

ولم يقتصروا على نسبة الشعر للشياطين، بل نسبوا إليهم الغناء أيضاً في العصر الإسلامي، وقالوا إن الغريض كان يتلق غناءه عن الجن، وأن سماره سهروا وهو معهم ذات ليلة عزيفاً عجيباً، وأصواتاً مختلفة أفزعتهم، فقال لهم. إن فيها صوتاً إذا نام سمعه، ويصبح فيبنى عليه غناءه، فأصغوا إليه فإذا نغمته نغمة الغريض فصدقوه(٢).

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث؛ لأن الذكور أقوى من الإناث وأقدر:

وإني — وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى — وشيطاني ذكر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم في معلقته هكذا:

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا(٣)

وقال إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن، فالمعنى أننا لبسنا الأسلحة فشرع الشعراء يذكروننا.

— ٣ —

ولهم مع شياطين الشعراء أقاصيص ومساجلات، وهما كانت منثورة في كتب الأدب، نذكر بعضها للتمثيل:

قال جرير بن عبد الله البجلي(٤): «سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه، فأبى أن يتقدم، فدنوت من الماء وعقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عنده، فقعدت ثم أتام رجل أشد تشويهاً منهم، فقالوا هذا شاعرهم، وطلبوا منه أن ينشدني، فأنشد:

«ودع هريرة إن الركب مرتحل» البيت

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً، حتى انتهى إلى البيت:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل(١)

فأعجبه، فقلت له: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا، قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عاما أول بنجران. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه، وأنا مسحل صاحبه، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس»

وقد لاق الأعشى هاجسه مسحلا وسمع منه(٢)، وقد اعترف في شعره أن مسحلا يوحي إليه، بل إنه مصدر وحيه ولولاه ما شعر:

وما كنت شاحوذاً ولكن حسبتني
إذا مسحل يسدى لي القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان: إنسي وجن موفق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفاني لا عي ولا هو أخرق(٣)

وحاور عبيد بن الحارس جنياً(٤) بالشعر.

وذكر أبو العلاء أن أبا بكر بن دريد قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول: لم لا تقول في الخمر شيئاً؟ فقال: وهل ترك أبو نواس مقالاً؟ فقال له: أنت أشعر منه حيث تقول:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له أبو بكر: من أنت؟ فقال: أنا شيطانك، وسأله عن اسمه فقال: أبو زاجية، وخبره أنه يسكن بالموصل(٥).

— ٤ —

وإذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن وتخيلوا أنها تلهمهم ونسبوا كل أمر عظيم إلى عبقر فإن الفرنجة يشبهونهم في كثير من تخيلهم.

يعبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذي

(١) عصر المأمون ٢ — ٢٢٣.
(٢) الأغاني ٢ — ٢٧٣ الخ.
(٣) آكام المرجان.
(٤) الأغاني ٩ — ١٢٦

(١) العشرق: شجيرة في أكمامها حب صغير إذا جفت فرت بها الريح سمعت لها خشخشة.
(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩
(٣) جمهرة أشعار العرب ٣٠
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ — ٤٤٨
(٥) رسائل أبي العلاء ١٠٦

اشتقت منه كلمة genii ومعناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة في اللغة الإنجليزية كالعلاقة التي بين عبقر والعبقرية في اللغة العربية ، وقيل إن أصل الكلمة لاتيني يدل على معنيين متقابلين : ملك رجيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أو يولدان معاً بمولد الشاعر ، ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً أشبه شبهاً قوياً بما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلاً بدأ الشاعر « كولردج » قصيدته « كوبلاخان » وأتمها لما حتى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر « ماسفيلد » من نومه لينقل عن جنى قصيدته « المرأة تتكلم » وأغرب من هذين ما يرويه « وليم بلاك » عن نفسه إذ يزعم أنه مسكون ، وأن ساكنيه ملائكة وشياطين تطارده نهاراً ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما ينظم وحياً لا يستطيع أن يصده ، ولا قدرة له على تنضيج ما توحى به

ويقول « ريلكة » إنه ظل أسير الأرواح ثلاثة أيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأخرج ديواناً من دواوينه الروائع ، وأعجبه ، وألح الجن أن ينشره ، فرضى على شريطة أن يكون النشر بعد وفاته حتى لا يتحمل تبعة شعر أملاه عليه جنى جالس قبالته[1] .

— ٥ —

ولكن علم النفس يعزو هذا كله إلى العقل الباطن ، وقد كشفت الدراسات التي قام بها علماء التحليل النفسي عن كثير من عمل العقل عند الفنان ، وانتهوا إلى أن الانتاج الفني يصدر غالباً من العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

ويروى استيفنسن ، كيف بدأ هو نفسه يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فيقول : « إن العمل الحقيق يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عليا مغلقة ... يقوم به أولئك الناس الصغار — في الدماغ — الذين ينجزون لى نصف عملي وأنا مستغرق في نومي وربما أنجزوا النصف الباقي وأنا مستيقظ تام اليقظة حيث أظن أني أنا القائم بالعمل ، وكثيراً ما يطيب لى أن أعتبر نفسي غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه »

وهذا التصوير المستملح تؤيده إشارات من كتاب آخرين ، فهذا فولتير — وقد جلس مرة في إحدى مقاصير المسرح يشهد تمثيل رواية من رواياته — يصيح متعجباً . أحقاً أنا الذى كتب ذلك ؟

وجورج إليوت — ولم تكن تعتقد في قوى نفسية غير طبيعية — تصرح أنها قد خيل إليها وهي تكتب Abenapede أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيَّره ، ويقول جوته إنه كتب أحسن رواية له وهو في غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشي . وكثير من الأدباء الأحياء صرحوا بهذا ، فتلاروفورد هوسمان يقول في طريقة إنتاج قصائده : أنا أظن أن إنتاج الشعر ليس عملية فاعلة active قدر ما هي قابلة hosriue وغير اختيارية

— ٦ —

التحليل النفسي يعزو إلى العقل الباطن الإنتاج الأدبي الرفيع وقد عبر الشعراء من العرب والإفرنج عن هذا العقل بأنه قوى خفية نائمة ، وسموها شياطين .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم ، وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسي الذى يرجع الإنتاج الأدبي إلى العقل الباطن للشاعر ، أى إلى الشاعر نفسه .

لست بهذا أهيم مع الشعراء وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين في تخيلهم وفي دعواهم أن شياطينهم تلهمهم أو تملى عليهم ...

أحمد محمد الحوفي
المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) الأدب المقارن لنجيب العقيقي ص ٤٠

رائيـــة أبي فراس
في الشعر المعاصر

للأستـــاذ أحمد أحمد بدوي

لم تظفر قصيدة فى شعر أبى فراس من الشهرة بما ظفرت به قصيدته الرائية التى بدأها بقوله :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر   أما للهوى نهى عليك ولا أمر

فهي أكثر قصائده دوراناً على الألسنة ، وقد أغرت بعض الأدباء بتشطيرها حيناً ، وتخميسها حيناً آخر ، ومعارضتها مرة أخرى .

وممن شطر هذه القصيدة الأستاذ الكنانى الأبيارى (سنة ٩٨٦هـ) ، وليس فى تشطيره من جديد سوى زيادة عدد الأبيات ، وكان عمل الشطر أن كرر للمعنى ، أو فصله بعض التفصيل ، وهاك نموذجاً لما قيل :

قال أبو فراس :

ولا خير فى دفع الردى بمذلة   كما ردها يوماً بسوأته عمرو

فشطره الكنانى بقوله :

ولا خير فى دفع الردى بمذلة   إذا لم يكن من فإن الردى خير
ومن يرتضى رد الردى بمعرة   كما ردها يوماً بسوأته عمرو

وعلى هذا النسق يسير ، لايأتى بمعنى جديد ، ولا يكمل معنى جاء به الشاعر الأول . ولا ريب أن ما جاء به الكنانى شديد الضعف بموازنته بما جاء به أبو فراس . ثم عاد الكنانى ، فشرح الأصل والتشطير ، بشرح الكلمات اللغوية أولاً ، ثم يعود إلى الشرح الإجمالى ، وسمى عمله « إيناس الجلاس ، بتشطير وشرح قصيدة أبى فراس » .

وخمس هذه الرائية الجنبيهى ، المعاصر للكنانى ، وهذا التخميس أقل قوة من تشطير معاصره ، وقد أضعف القصيدة ، وأنهك معناها ، وكثيراً ما كان يختلس الوصول إلى البيت بمعان ليست فى الصميم ، كما ترى فى تخميس بيتى أبى فراس :

وإنى لنزال بكل مخوفـــة   كثير إلى نزالها النظر الشزر
وإنى لجرار لـكل كتيبـــة   معودة ألا يخل بهـــا النصر

خمسهما الجنبيهى بقوله :

وليس لنا ما بين لين وعطفة   وبين الجفا والصد أدنى مسافة
لذا صرت مهمانى ارتشاد ورجفة   وإنى لنزال بكل مخوفـــة
كثير إلى نزالهـــا النظر الشزر

فيا سعد مهلاً ليس نأيى لوحشة   من الأهل ، لابل مزعجات محبة
وإنى مـرـ قوم كرام أعزة   وإنى لجرار لـكل كتيبـــة
معـودة ألا يخل بهـــا النصر

فأنت ترى ضعف التأليف ، وكيف كان الشاعر يلتمس المعانى التى تصل به إلى البيت لأدنى ملابسة ، وكيف أن الجمع بين الغزل والفخر أضعف كليهما ، ولكنك تحس بقوة القصيدة منفردة من التشطير والتخميس .

وعارض البارودى وهو فى المنفى ، تلك القصيدة الرائية التى أنشأها أبو فراس وهو فى الأسر ، وافتخر الشاعران فى القصيدتين ، وبدآها بالغزل .

كانت طبيعة الغزل فى القصيدتين مستمدة من موقف الشاعرين ، فاقتبس الحديث من الحب من ذلك الموقف مشاعره وإحساساته .

أما أبو فراس فقد أنشأ قصيدته فى أيام أسره الأولى ، عندما كان الأمل يملأ قلبه فى أن ابن عمه سيسرع إلى فدائه ، وهو من أجل ذلك يبدى الجلد والصبر ، وإن كان لا يستطيع بينه وبين نفسه أن يخفى اللوعة والأسى ، فهو أمام الناس جلد صبور ، حتى إذا جن الليل وانفرد ، بكى ما شاء له البكاء .

هذا الخاطر الذى كان يملأ نفسه ، هو الذى أوحى إليه بهذا الشعور عندما تحدث عن الحب فقال :

أراك عصى الدمع ، شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليـــك ولا أمر

بلى ، أنا مشتاق ، وعندى لوعة   ولـكن مثلى لا يذاع له سر
إذا الليـل أضوانى بسطت يد الهوى
وأذللت دمعاً من خلائقه الـكبر
تـكاد تضئ النار بين جوانحى   إذا هى أذكتها الصبابة والفكر

وتستطيع أن ترى أثر موقفه فى مبدأ الأسر جلياً فى غزل هذه القصيدة ، وأكاد ألمس فيها نوعاً من الرمز والإيماء ، وبهذا

نستطيع أن نفهم كيف إنها علالة بالوصل حيناً إذ يقول :

معللتي بالوصل ، والموت دونه   إذا مت ظمآناً ، فلا نزل القطر

وكيف إنها تجاهلته حيناً آخر :

تسائلني من أنت ؟ وهي عليمة   وهل بفتى مثلي على حاله نكر

فقلت ، كما شاءت وشاء لها الهوى   قتيلك ، قالت أيهم ؟ فهمو كثر

فقلت لها : لو شئت لم تتعنتي   ولم تسألي عني ، وعندك بي خبر

فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا

فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر

وما كان للأحزان لولاك مسلك   إلى القلب لكن الهوى للبلى جسر

وينتقل أبو فراس بعدئذ انتقالاً طبيعياً إلى الفخر بنفسه إذ يقول :

فلا تنكريني يا ابنة العم ، إنه   ليعرف من أنكرته البدو والحضر

ولا تنكريني ، إنني غير منكر   إذا زلت الأقدام واستنزل النصر

وهنا وجد المجال فسيحاً للحديث عن خصاله الحربية ، ومزاياه ؛ فتحدث عن أنه ميمون الطالع ، قائد مظفر ، لا يخشى المعارك المخوفة ، بل يخوض غمارها ، حتى ترتوى البيض ، وتشبع الذئاب والنسور ، لا يغتال عدوه ، ولا يفجؤه ، بل يرسل إليه النذر تخيفه وتحذره ، ثم يصور لك إقدامه في صورة بارعة إذ يقول :

ويا رب دار لم تخفني منيعة   طلعت عليها بالردى أنا والفجر

فهذا حصن منيع قد وثق بنفسه ، ولكن لم يلبث الفجر أن قاد إليه الهلاك عندما صعد إليه أبو فراس يحمل له الردى . ويحدث الشاعر عن احترامه المرأة ، حتى لا تستطيع شجاعته إلا أن تلق بسلاحها أمامها ، فيعفو عن قومها ويرد إليهم أسلابهم . ثم هو رجل لا يطغيه الغنى ، ولا يثنيه الفقر عن الكرم ، وهو في كل هذا الحديث قوى يشيع في أبياته روح الأمل .

وانتقل بعدئذ إلى حديث أسره ، فلم ينسبه إلى ضعف بدر منه ، بل قضاء غالب ، لا يستطيع امرؤ أن يفلت منه :

أسرت ، وما صحبي بعزل لدى الوغى

ولا فرسي مهـــر ، ولا ربه غمر

ولكن إذا حم القضاء على امرئ   فليس له بر يقيه ولا بحر

وقال أصيحابي : « الفرار أو الردى »

فقلت : همـا أمران ، أحلاهما مر

ولكنني أمضي لما لا يعيبني   وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

وأمل أبا فراس صغر الأصحاب هنا قليلاً أمامهم ، وتحقيراً لشأنهم .

كان الأمل يملأ شعره في هذه القصيدة ، ولهذا رأيناه يستقبل الأمر بصدر رحب ، لإيمانه بأن قومه لابد ذاكروه وفاقدوه ، فليس عندهم من يملأ مكانه إذا غاب :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم   [وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر]

ولو ســـد غيري ما سددت اكتفوا به

وما كان يغـــلو التبر لو نفق الصفر

ويختم أبو فراس قصيدته متفخراً بقومـــه الذين يحتلون في قومهم مركز الصدارة ، ولا يقبلون دونه مكاناً ، ففي سبيله تهون نفوسهم ، ويشتد شعور أبي فراس بهم وبعزتهم فيقول :

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا   وأكرم من فوق التراب ولا فخر

أما البارودي فقد كان غزله كذلك مستمداً من موقفه ، فإذا كان أبو فراس مؤملا يخفي آلامه ، فإن البارودي — وقد جفت آماله — لا يجد بداً من أن يتحدث ببعض ما يشعر به من أسى وحزن ، وإن كان يخفي في قلبه من اللوعة أكثر مما يبين ، فتلون غزله بهـذا اللون ، فرأيناه يبرح بالحب لا ينهاه عن ذلك زجر ولا عتاب ، وهو يرى الحب ، وربما كان يرمز به إلى مصيره — أمراً مقدوراً ، ليس لامرئ فيه من نهي ولا أمر ، وإنه ليقاسي من هذا الحب أعنف ما يقاسيه إنسان ، ومع هذا لا يبدي كل ما يحمله صدره من الوجد ، ولا يترك دموعه تهمي ، لاصبراً في انتظار تحقيق أمل ، ولكن حياء وكبراً ، واستمع إليه يقول :

طربت وعادتني المخيلة والسكر   وأصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر

كأني مخمور سرت بلسانه   معتقة ، مما يضن بها التجر

سريع هوى يلوى بي الشوق كلما   تلألأ برق أو سرت ديمة قزر

إذا مال ميزان النهار رأيتني   على حسرات ، لا يقاومها صبر

يقول أناس : إنه السحر ضلة   وما هي إلا نظرة دونها السحر

فكيف يعيب الناس أمري ، وليس لي

ولا لامرئ في الحب نهي ولا أمر

ولو كان مما يستطاع دفاعه   لألوت به البيض المباتير والسمر

ولكنه الحب الذي لو تعلقت   شرارته بالجمر لاحترق الجمر

على أنني كانت بصدري حرقة من الوجد لا يقوى على حملها صدر
وكنت كفكفت دمعـــا لو أسلت شئونه
على الأرض ما شك امرؤ أنه البحر
حياء وكبراً أن يقال: ترجحت به صبوة أو فل من غربه الهجر

فأنت ترى الغزل مستمداً من حاله ، ولو أنك جملت ما يهواه وطنه ، وأدرت عليه الحديث لم تبعد .

لم يطل البارودي يومئذ في الحديث عن نفسه كما فعل أبو فراس ، بل اكتفى ببيت واحد يحمل خيبة الآمال ، إذ قال :

وإنى امرؤ لولا العوائق أذعنت لسلطانه البدو المغيرة والحضر

وكان المجال أمامه فسيحاً لتعداد مواقفه فى الحرب والسياسة ، ولكن يبدو أن يأسه ساعتئذ قد تغلب عليه ، فصرفه عن الحديث عن ماض لا سبيل إلى استئنافه ، على عكس أبى فراس ، القوى الأمل فى أن يعود — كما كان — البطل المفدى . وكان المجال فسيحاً كذلك أمام البارودي للحديث عن نفيه ، والدفاع عن نفسه ، كما تحدث أبو فراس عن أسره ، ولكنه لم يفعل ، ولعله اكتفى فى ذلك بما تحدث به فى قصائد أخرى كثيرة .

أما الذى أطال الحديث فيه حتى استغرق معظم قصيدته على عكس أبى فراس ، فحديثه عن آبائه . وقد ذكروا أنه ينحدر من المماليك الشركسية ، فاتخذ من ذكراهم وسيلة يشبع بها عاطفته فى الفخر ، ويصل نفسه بمآثرهم ، ويسجل لهؤلاء الأسلاف شجاعتهم وكرمهم ، وهنا يستعير خيالاً بدوياً إذ يقول :

لهم عمد مرفوعة ، ومعاقل وألوية حمر ، وأفنيـــة خضر
ونار لها فى كل شرق ومغرب لمدرع الظلماء ألســـنة حمر
تمـــدياً نحو السماء خفيبة تساقطها الشعرى ويلحمها النسر

وختم قصيدته ختاماً يائساً حزيناً ، رثى فيه قومه وقد مضوا ، وسوف يمضى على أثرهم :

لعمرك ما حى وإن طال سيره يعد طليقـــاً والمنون له أسر
وما هـــذه الأيام إلا منازل يحل بها سفر ، ويتركها سفر
فلا تحســـبن المرء فيهـا بخالد ولـكنه يسعى ، وغايته العمر

أما أبو فراس فقد ختم قصيدته مالئاً شدقيه من الفخر بقومه الذين كانوا يومئذ قابضين على الملك والسلطان .

هذا ، وقد ظفرت قصيدة أبى فراس بشهرة فى العالم العربى الحديث ، كما رأينا ، وغنت أم كلثوم بعض غزلها ، وسارت على الألسنة بعض أبياتها كقوله :

ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له بر يقيه ولا بحر

وقوله :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وقوله : « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر » .

وأما قصيدة البارودي فلم تظفر من الشهرة بنصيب .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم

٢ ــ من شـــــجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

المشهد السابع :

الملكة ، أيبك ، أقطاى ، بيبرس ، قلاوون . يدخل سنجر .

سنجر : هذا ابن مطروح
الملكة : أجاء ؟
سنجر : أجل
الملكة : فأد
خله ورحب بالوزير الشاعر
قد عاد آخر رسْلنا ولعلنا
نُهدَى بأنباء الرسول الآخر

(يدخل جمال الدين بن مطروح)

الملكة مستمرة:
خيراً جمال الدين
ابن مطروح : خيرٌ لم يزل
يندَى على السر الرفيع[1] الطاهر
الملكة : ماذا وراكَ ؟
ابن مطروح : تركت الأمّ عصبة[2]
فكأنما خُلقوا بغير ضمائر
الملكة : صفْ ما رأيت وقائعاً ومشاهداً
وانقل لنا — لا تقتضب — ما قيلا
ابن مطروح : أبلغت أنباء التمرد
الملكة : ساقها
أخواك قبلك
ابن مطروح : فاسمعي التفصيلا
لم يكفهم عصيانهم ومروقهم
بل أوسعوا أنصارنا تقتيلا

(١) لقب من ألقاب شجرة الدر .
(٢) إشارة إلى أمراء الشام .

(الملكة في غضب)
أتعرضوا للصالحية[1] ؟
ابن مطروح : من نجوا
منهم تواروا في البلاد فلولا
أخذوهمو والليل ضارب ستره
في غرة أخذا هناك وبيلا
الملكة : شرفا شيوخ الصالحية معشر ان
تفدى المكم ذاك الدم المطلولا
من مات في شرف الجهاد فإنهُ
حيٌ ، وأودى من يعيش ذليلا

(أقطاى في تحمس)

يامِلْكة الوادى جيوشك دوّخت
تلك البلاد وأهلها فتكلمى
في كلّ موضع حافر من أرضهم
أزّ لخيلك بالفوارس ترتمى
الملكة : صبرا أمير الجند ، إن لم تحسم الـ
أحداثُ بالحسنى إذن فتقدمِ
إيه جمالَ الدين فارجع للذى
تروى
ابن مطروح : نقضتُ لك الخطير
الملكة : فأتم
ابن مطروح : خلفتهم عزموا على الجلل
الملكة : فما
ت الرأى
أقطاى : استبق الحوادث واعزمى
ابن مطروح : وتركتهم قد أجمعوا أن يبعثوا
وفداً بشكواهم إلى المعتصم[2]
الملكة : أإلى الخليفة يُهرعون ؟!
ابن مطروح : أجل
أيبك : فما
يبغون ؟

(١) الصالحية : فريق ينتسب للملك الصالح من الموالين لشجرة الدر .
(٢) الخليفة ببغداد .

الملكة : يبنون اعتزالكَ فاعلم
أبيك : كيف السبيل! ومصر حولك تفتدى
وتذود عن أستار عرشك بالدم
هذى بلادٌ نحن سادتها
الملكة : اصطنع
صبراً ولا يعجل لسانك تندم
(تبدو الملكة وكأنها عادت تمالكت جأشها)
لو أنهم قصدوا الخليفة وحده
قلنا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا
لكنهم ركنوا إلى أعدائنا
مستنصرين بهم ولم يتعففوا
(دهشة وتهامس من الجميع)
بيبرس : مولاتنا !
أبيك : إنى الذى تلت
الملكة : اهدأوا
هذا اليسير النزر مما نعرفُ
أبيك : هل حالفوا أعداءنا ؟
الملكة : بل أوفدوا
شعراءهم فترددوا وتلطفوا
أبيك : مولاتنا ، إن صح ذاك فإنه
عارٌ يجللهم فلا يتحرفُ
الملكة : إن كنت فى شك فهذى كتبهم
بالخزيات وبالخيانة ترعفُ
وعدوا الفرنجة بعض مصر تَقلهم
الله مانع مصر مهما ترجفوا
(تخرج مكتوبين من صدرها وتطلع عليها رجالها)
أبيك : أتأذنين ؟
الملكة : أجل
أبيك : فكيف اصطنعت أن
تصل لهذى الكتب؛ هل نبأتنى؟
(الملكة بعد فترة صمت)
أهدت إلينا مرغريت مليكة الـ
افرنج بالأنباء ، قلت فبرهنى
لم يُرضها أنى شككت فأسرعت
وسعت إلينا بالدليل البين

فإذا بكتبهمو وتوقيعاتهم
أبيك : يا للخيانة والصَّغار الممعن !
الملكة : لم تسألونى لم خُصصت بذلك السر الخطير
أسماؤهم كتبوا لإخوة زوجها الملك الأسير
قالوا لهم حتّام صبركمو على ذلّ الدهور
إن تنقذوا الشرف الرفيع بغير جيشكمو النفير
قتبوا على مصر تَهن ، وتذلّ فى الأمد القصير
قالوا وهل تقوى النساء على مساولة الذكور
أبيك : أ كذا ؟
الملكة : أجل فاسمع فلم تعلم سوى النزر اليسير
وعدوهمو جنداً يؤازرهم مؤازرة الظهير
من أجل ذا الشرآيت يا أمطاى إطلاق الأسير
سيرون بأس الغانيات وبأس ربات الخدور
ابن مطروح : أعداؤنا كثرٌ
أبيك : أمنا مكرم
إن لم تبت بضغائن وحقود
لو قد بقينا جبهة مصرية
لم نخش عادية الخطوب السود
أقسمتُ « بالمنصورة » العظمى التى
شهدت مجالى نصرك المشهود
وبكل شبر من ثراها خالد
بدماء علجٍ أو دماء شهيد
أقسمت لن تُجتاح مصرُ وأنت من
أبطالها فى شكة وجنود
(الملكة مخاطبة الموجودين)
سيجيئكم أمرى
بيبرس : أتأذن ربة الـ
تاج السنىّ
الملكة : أذنت
بيبرس : عز مكانها
الملكة : يا قوم ضبط النفس أكرم خلة
ونجاح كل سياسة كتمانها
عزيز أباظة

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزى المحامى

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

عند نهاية الحرب انخفض الإنتاج الاقتصادى في الاتحاد السوفياتي من ٤٢ في المائة بالقياس إلى الإنتاج الأمريكى إلى ٢٥ في المائة بالنسبة لهذا القياس . وإذا ما سار كل شيء سيره الطبيعى في روسيا فإن الكفاءة الصناعية فيها ستبلغ في عام ١٩٥١ نفس الكفاءة التي كانت تتمتع بها أميركا عام ١٩٠٤ أى قبل ٤٤ سنة وفي عام ١٩٦٠ سيبلغ الإنتاج الروسى إنتاج أميركا عام ١٩١٨ .

وحين قدم ستالين مشروع السنوات الخمس الرابع في ٩ شباط عام ١٩٤٧ قال : « إن المهمة الأساسية تتركز في استعادة مستوى ما قبل الحرب في الصناعة والزراعة ثم بعد ذلك نزيد هذا المستوى بنسب متفاوتة معقولة . وربما تطلبت الزيادة ثلاثة مشاريع جديدة من مشاريع الخمس سنوات ، ولكننا يجب أن ننجز ذلك » .

ويستطيع المتتبع أن يتأمل في هذا المشروع جيداً ، محللا أهداف ستالين ، مقدراً الكفاءة الشيوعية تقديراً مسرفاً في المبالغة ، ومع ذلك فإن روسيا إلى الآن لم تنفذ مشروعاً واحداً من مشاريع السنوات الخمس المتعددة .

وقد أعلن ستالين بأن هدفه فيما يتعلق بإنتاج النفط أن يبلغ هذا الإنتاج (٦٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تعدت أميركا هذا الرقم منذ (٢٨) سنة مضت وأنتجت في عام ١٩٤٧ وحده (٢٧٠) مليون طن . وإذا رجعنا إلى الحقائق وتركنا الآمال وجدنا أن إنتاج روسيا من النفط بلغ درجة من القلة اضطرها إلى استعمال الفحم وغيره من الوقود القليل الاحتراق عند عدم توفره .

ووجد المهندسون السويديون العاملون في روسيا اليوم أن (٣٠) بالمائة من إنتاج الفحم قد استهلكته القاطرات . بينما استعملت كميات أخرى تقدر بـ(٣٠) بالمائة أيضاً من هذا الإنتاج في إنتاج القوة الكهربائية ، ولذلك لم يبق سوى (٤٠) بالمائة من إنتاج الفحم يجب أن يستعمل في كافة المصانع الروسية يشمل ذلك فحم الكوك المستعمل في إنتاج الفولاذ .

ويريد ستالين من مشروع السنوات الخمس الحالى أن يوصل إنتاج الفحم إلى (٥٠٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تجاوزت أوربا والولايات المتحدة هذا الرقم منذ (٣٠) سنة مضت .

وطلب ستالين أن يصل إنتاج الفولاذ إلى (٦٠) مليون طن عند نهاية مشروع السنوات الخمس الجديد ، أو خلال المشروع الذى يليه ، بينما بلغ إنتاج القارة الأوربية وحدها ما مقداره (٥٠) بالمائة أكثر من هذه الكمية في نهاية الحرب الأخيرة .

وينقص روسيا بعض المواد الصناعية المهمة في الاستعداد الحربى منها « التانكستن » والمليدنوم والقصدير والأمونيا ، وينقصها أيضاً ما هو أهم من هذه المواد وهو المطاط ، إذ أنها لا تملك خطوط مواصلات إلى ما وراء البحار تجلب عن طريقها المطاط الطبيعى ، كذلك ليست لها الإمكانيات اللازمة لبناء المصانع المعقدة التى لا بد منها لإنتاج المطاط الصناعى .

ويشكو الاتحاد السوفياتى شكوى واضحة من قلة طرق المواصلات ، ولكن فيما يتعلق بعدد البواخر الموجودة الآن لديه فهو في وضع لا بأس به ، إذ أن بواخره التجارية التى كان يقدر عددها قبل الحرب بمقدار عدد بواخر السويد قد ضوعفت بما قدمته أمريكا للاتحاد السوفياتى من هدايا وبما حصل عليه من ألمانيا كتعويضات . ومع ذلك فإن سعة مساحة الاتحاد السوفياتى ترهق مواصلاته الداخلية المحدودة . فالطرق قليلة رخوة ، والطريق الوحيد هو الطريق الذى يبدأ من موسكو إلى لننغراد شمالا وإلى « منسك » غرباً ونحو « كييف » و « خاركوف » جنوباً ، بينما تستعمل العربات في المدن استعمالا رئيسياً . ولهذا فإن روسيا تحتاج احتياجاً كبيراً إلى قنوات منظمة كالقنوات التى تقوم بالقسط الأكبر من أمور النقل في أوربا الغربية . كما أنها لا تملك طرقاً مائية ما خلا عدة أنهار كبيرة تتجمد مياهها أغلب أيام السنة . ولذلك فإن أكثر من (٨٣) بالمائة من الشحنات الداخلية يجب أن تنقل بالسكك الحديدية ، وأن روسيا حتى داخل مثلثها الصناعى لا تملك وسائل المواصلات الكافية ، وكل ما يبلغه طول طرق سككها الحديدية طول الطرق التى كانت في الولايات

المتحدة منذ مائة سنة مضت ، أي في عام ١٨٤٦ ، إذ يبلغ مجموع طول طرق السكك الحديدية في روسيا (٥٧) ألف ميل يقابل ذلك (٢٢٦) ألف ميل في الولايات المتحدة الآن .

وهكذا فإن نقص طرق المواصلات الحديدية يشكل أعظم ثغرة في الاقتصاد الروسي ، وهو نقص سيحد من طاقة روسيا سنين عديدة مقبلة ، وحتى وفق مشروع السنوات الخمس الجديد ستبني روسيا (٤٥٠٠) ميل من خطوط السكك الحديدية الجديدة متركزة في الجهة الغربية من البلاد وهي الجهة التي سيطر عليها النازيون مدة من الزمن . وروسيا مضطرة إلى تبديل مهمات السكك الحديدية في حين أن هذا التبديل لا يمكن أن يتم من طريق الإنتاج الروسي ، ولذلك فإن السوفيات يستعملون الآن عربات قديمة ويجلبون التجهيزات أحياناً من ألمانيا والأقطار التابعة لها . ويعمل الاختصاصيون الروس والمهندسون السويديون الآن على تقليد العربات الأمريكية وإنتاج أنواع منها .

إننا نستطيع أن نعرف الشيء الكثير عن روسيا من دراسة الصناعة الآلية السوفياتية . فالمصانع الروسية لا تنتج أي مبتكر خاص بها من تصاميم السيارات بل هي تنتج على منوال التصاميم الأمريكية والبريطانية مع أحداث بعض التغييرات الطفيفة . ومع ذلك فإن المنتجات الروسية من السيارات لا تزال غير قوية جداً . ولا يزيد مجموع طرق السيارات المعبدة في روسيا على ثمانية آلاف ميل .

كما أن الكلام عن استخدام الأيدي العاملة في الاتحاد السوفياتي يقفنا بدوره على قدرة روسيا الحربية . فقد جاء في مجلة « المشاكل الاقتصادية » الروسية أن قوة الكهرباء المستعملة في إدارة المحطة الأمريكية في ماهوس (نيوجرسي) تعادل القوة الكهربائية المستعملة في محطة كيمرفو الروسية . وعلى الرغم من أن المحطتين تنتجان إنتاجاً متساوياً ، فإن المصنع الأمريكي في المحطة الأولى يستخدم (١٥١) عاملاً ، بينما تستخدم المحطة الروسية (٤٨٠) عاملا . ويستخدم المصنع الأمريكي في نفس المحطة (١٧) موظفاً لإنتاج الورق بينما يستخدم المصنع الروسي في المحطة الروسية (٦١) موظفاً . وبصورة عامة يمكن القول بأنه

يجب استخدام (١١) شخصاً لإنتاج ألف ثولت من الكهرباء في ظل النظام الروسي الاقتصادي بينما تحتاج الكفاءة الصناعية في الولايات المتحدة شخصين فقط لإنتاج نفس القوة .

وإذا رجعنا إلى موضوع حقول النفط في روسيا وجدنا أن وضع هذه الحقول ليس جيداً أيضاً . ففي الولايات المتحدة يستخرج أكثر من (٩٠) بالمائة من الفحم على شكل قطع ، ثم ينقل ميكانيكياً ، ولا يستخرج بالمسحاة والفأس غير مقدار قليل لا يتجاوز الأربعة بالمائة من مجموع الإنتاج . بينما تستخرج أكثر كميات الفحم في روسيا باليد . وتشكو مناجم الفحم ، ككل الصناعات الروسية من قلة الأيدي العاملة المنتجة . فقد وجد أحد مهندسي المناجم وهو سويدي زار منطقة الفحم في روسيا مهندساً روسياً واحداً لا يزال على قيد الحياة وميكانيكياً وتوميسيراً سياسياً واحداً ومجموعات من العمال يحرس كل أربعة منهم جندي مسلح . فإن عدد العمال الذين يخضعون لنظام العمل الإجباري في روسيا يفوق أي عدد آخر من عمال المصانع الأحرار المستخدمين في المصانع الروسية ، إلا أن العامل المستعبد في ظل النظام الروسي الاقتصادي لا ينتج بنفس الكفاءة التي ينتج بها العامل الحر في ظل الأنظمة الاقتصادية . ولقد بذلت المحاولات في مشاريع السنوات الخمس الأولى لتدريب العمال المهرة بواسطة المدارس الفنية الخاضعة للدولة ، ولكن رغم ذلك عندما جاء عام ١٩٣٦ لم تجهز هذه المؤسسات غير حوالي مليون عامل وظل التقدم في هذا الاتجاه بطيئاً . ويهدف مشروع ستالين الحالي تجهيز الصناعات الروسية بستة ملايين عامل مدرب ، وعندما يتحقق هذا الهدف الذي يعتبر غاية آمال الروس يكون الاتحاد السوفياتي قد حصل على عدد من العمال يساوي عدد العمال الذين يشتغلون في إنتاج السيارات فقط في الولايات المتحدة .

والآن نتساءل عن القنبلة الذرية وعن الموعد الذي تستطيع فيه روسيا أن تصنع القنبلة بكميات كبيرة :

إن العلماء الأمريكيين والإنجليز مقتنعون بأن العلماء الروس يعرفون الطرق العامة لصنع القنبلة ولو أنهم لا يعرفون الخطوات الحقيقية التي « تفجر فيها القنبلة وترى » . إلا أن أغلب المشاكل الصعبة بالنسبة للروس هي بناء المصانع المعقدة التي لا بد منها

لإنتاج القنبلة الذرية ، لأن إنتاجها يحتاج إلى مقدرة تفوق حد الوصف . فالبراميد يحتاج إلى عمليات معقدة والإشعاع الراديوى مثلا يحتاج إلى سيطرة آلية هائلة إذ أن إقامة مصنع للقنابل الذرية يجب أن يوضع وفق تصميم يستطيع أن يعمل بموجبه المعمل وحده بلا إشراف العمال عليه . وبالقياس إلى هذا المستوى العلمى الفائق فى القابلية العملية تعتبر روسيا متأخرة . فمن حيث الكفاءة الإنتاجية التى تعتبر مفتاح صنع القنبلة الذرية تتأخر روسيا عن الولايات المتحدة والدول الغربية بمعدل (٢٢) سنة إلى الوراء .

والخلاصة ، أن تهديد روسيا العالم تهديد حقيقى لا شك فيه ، ولكن روسيا بدرجة من الضعف تستطيع معه القيام بحرب دفاعية بالقرب من بلادها ، ولكنها أضعف من أن تشن حربا هجومية كالحرب التى شنتها دول المحور عام ١٩٣٩ .

فؤاد طرزى الحامى

مصادر البحث :

١ — تاريخ العالم : ﻫ . ج . ويلز
٢ — الاتجاه نحو نظام جديد : ﻫ . ج . ويلز .
٣ — تقرير المستر تايلور : الريدرز دايجست .
٤ — مجلدات مجلة الإيكونمست عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨
٥ — ولادة عالم جديد : المستر بتلر فى مجلة الشؤون الخارجية عدد تموز عام ١٩٤٨ .

الجنـــاح المهيض

للأستاذ إبراهيم الوائلى

دعينى وسهوبة الشاعرين … ونجوى الطبيعة فى معزل
فإنى — متى هجع الساهرون — … بغير الهواجس لم أحفل
أراك ووحشة هذا الظلام … تريدين من همى المثقل
فهل تعلمين بأنى شربت … أمر من الصاب والحنظل ؟
وأنى أذبت بقايا الفؤاد … ترانيم تصخب كالمرجل
سل الشهب عن سهرى فى الدجى … تجبك متى شئت أن تسأل
خطوب يضج بها حاضرى … وأخرى تهدد مستقبلى
وفى كل يوم أرى نبوة … من الزمن القلب الحول
أنا اليوم لست كما تعهدين … وكاليوم شأن غدى المقبل
وما بات يخفق فى أضلعى … حنين إلى عهدى الأول
دفنت الشباب وأحلامه … وما فيه من متع حفل
وودعت أمسى بين الصخور … فذاب على الشوك والجندل
وماتت بقلبى تلك الرغاب … كما يحصد الزهر بالمنجل

—

دعينى وألحانى المولات … تنوح على الأرغن المعول
تريدين منى زفيف الطيور … وأين الزفيف من الأعزل ؟
فلا زغب فى الجناح المهيض … أحوم فيه على منهل
تفيض الينابيع عن جانبى … وأحرم من مائها السلسل
وأدرك فى الروض معنى الجمال … وأمنع من نظرة المجتلى
وأشتاق أن أرد المنعتين … تحجب عنى رؤى الجدول
وأهوى سنا الفجر خلف النجوم … فأقبع فى ليل الأليل
وأهتاج أنسامه الحالمات … فيرتد عنى سرى الشمأل
وأصغى لسرل طيور الفضاء … تطارح أنشودة البلبل
فأمضى ولا صوت فى مسمعى … يرن سوى خفقة الأجدل

—

تريدين منى غناء الطيور … وليس سوى القفر من موئل ؟
حشدت الصخور إلى جانبى … وشوك الطبيعة فى محفل
وصوبت فى جنبات السهول … وصعدت فى قمم الأجبل
وهمت للوحش فى غابه … وعممت للنسم الجفل
وعدت ولا شئ غير الرياح … متى أرها فى الدجى تعول

—

ضللت الطريق … وكم تائه … أراح على جذوة المصطلى
وأبصر فى خلجات السماء … نجوما تنور أو تنجلى
ولكننى لم أزل حائرا … أجوب الرمال على الأرجل
تواكبنى خطرات الدجى … ثقالا ينوء بها محملى
فمن هيكل سائح فى الطريق … يلوح أمامى إلى هيكل
ومن شبح مدبر يستفز … خيالى إلى شبح مقبل

—

تريدين منى انطلاق النسيم … على الروض فى ثوبه المخمل ؟
وإشراقة الفجر بين الحقول … وفوق أغانيها النيل
وما أنا … يا هذه … إننى … رمت بمالك الأمثل
دعينى ومابى … فلولا الشجون … تثير الحمائم لم تهدل

(القاهرة) إبراهيم الوائلى

انتظار ...

للأستاذ عمر النص

أقبلي ... أقبلي ... فقد عسعس الليـ ـل وغام الفضاء في ناظريا
السماء الأكناء ترهق أنفا سي وتلقى النذير في أذنيا
أقبلي ... فالظلام يوقر نفسي نزوات ... ويوقظ الشجو فيا
والرياح الغضاب تلطم شبا كي وتدوي خلف الزجاج دويا
والحيا دافق ... يطير مع الري ح ويجري به سخيا سخيا !
ونبـاح الكلاب يخنقه القر ر وتغضي به الرياح قصيا ...
أقبلي ... فالظنون يا ليل تأبى أن أحس النعاس في جفنيا
وأنا في ترقبي ... أفتح البا ب وأرنو ... على أطالع شيا
أسأل الليل : ما وراءك يا لي ل ... وأصغي إلى الرياح حفيا
أنا في موقفي ... تحدق عينا ي ... ويسعى بي الخيال مليا
كلما مس في الدجى ذو جناح كدت أنزو أخاله يتـدنيا
وكأني أراه يشـفق مني فيكاد الفؤاد يصرخ : هيا !
... أي شيء ترى أعاقك عني بعد ما أرهف الصدى أذنيا
أي درب سلكته فأضلت فيه أقدامك الطريق إليا ؟ !
طال ليلي ... ولم أزل أفتح الصد ر وأستقبل الظلام النديا
كلما صحت في الظلام ليلا ي ضاع صوتي ... ومات في شفتيا
ليت شعري ألم يحن لفؤادي أن يرى في الحياة شيئاً رضيا
مزقته يد الفراق وهبت وهو ما زال بالفراق شقيا !

إيه ليلاي ... لم أعد أرقب الأفـ ـق ... وإن كنت قد مددت يديا
أنا باق هنا أجاهد إخفا ق وأخنق الرجاء في نظريا
طاش حلمي ... وكدت أفقد صبري
وتجـول الشحوب في وجنتيا ...
أنا باق هنا ... وقد تصل الليل ... فردي لي الخيال الثريا
ودمعي لوحدتي ... أغلق البا ب وأبكي ... فلست آمل شيا !!

(دمشق) عمر النص

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

قصة الدموع التي شابت :

جاء إلى الحياة والدمع في عينيه، ورحل عنها والدمع في عينيه ... وتلك هي قصته : قصة الدمع الذي شاب والشعر في سواد الليل، والروح الذي اكتهل والعمر في ربيع الأمل، والزهر الذي صوّح والعطر في رياض الشباب !

من هو؟ لا أحد يعرفه ... لقد عاش غريباً في دنياه : همسة تنطلق من لجاج الصمت لتتلاشى في سكون العدم، وومضة تشع من وراء الأبد لتخبو في ظلام اليأس، ولحن ينساب من أوتار الزمن ليشجي كل عابر سبيل !

يخيل إليّ أنه لم يكن بشراً من البشر ... لقد كان روحاً : روحاً شرب من خمرة الأسى المعتقة في دنان الشجن حتى ثمل، وكأن الأيام حين طافت عليه بكئوسها قد ثملت معه فنسيت غيره من الشاربين. وكان طيفاً : طيفاً شفه الحزن حتى لكأن الوجود مأتم كبير، ترملت فيه أحلامه ومنيت بالثكل أمانيه، فبكل تعزية في حساب الشعور وهم لا يجدي وسلوة لا تعين !

تسألني عنه ؟ ... لقد كان « قارئاً » من قراء « الرسالة »، حدثني من نفسه يوماً فكتبت إليه، وشكا إلى الحياة فأشفقت عليه، ثم لم نلتق بعد ذلك إلا في عالم الرؤى والطيوف ! كل ما بقي منه سطور رأيته من خلالها رأى الفكر، وصورة رأيته من خلالها رأى العين ... وما تستطيع يدي بعد اليوم أن تمتد إلى رسائله ... وما تستطيع عيني بعد اليوم أن تنظر إلى صورته. رباه إني لا أخشى أن تحرقني ناره إذا ما قرأت، ولكني أهاب نبش القبور إذا رقدت فيها الذكريات ... ولا أن يلوعني وهج نوره إذا ما نظرت، ولكني أفزع من رؤية الشموس إذا احتضرت على فراش الغروب !

لقد كانت كل رسالة من رسائله تحمل إلى معنى من معاني القبر

في كلتيها كم شهدت مصرع الفكر ، وفي زفراتها كم شممت رائحة الموت ، وفي أناتها كم سمعت صوت النعاة . وكم أشفقت أن يصبح الظن حقيقة ... وأن أصحو يوماً على وقع أقدام المشيعين

ألا ما أعجب القدر حين يفرق بين الناس ويدفع بكل حي إلى طريق ... بسمة ترف على الشفاه هنا ودمعة تقرح الجفون هناك وحياة في موكب الصفو تمضي وحياة في موكب الشجو تقيم ، وكأس مراجها الشهد تسكر وليس فيها للحيارى نصيب ، وليل يقصر وليل يطول ... وندامى ... ويتامى ... وفرحة يهتز منها شعور وحرقة تلتهب منها صدور ، وياجرعة الصبر في قلوب الصابرين ما أمر مرارتك ، حين يصور لك الوهم أن في التراب أكواباً من العزاء !

من حمرة الشفق حيث طويت الشمس الغاربة ، يصطبغ اليوم وجداني وأنا أستعيد ذكرى حياة ... حياة أشبه بحيرة الغريب دفعت به المقادير إلى دار غير داره ، فكل ما فيها خواء يبعث على الشكوى ويغرى بالرحيل ! ... ولكم وقفت منه موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل في شفائه : مبضعي الذي يفتش عن مكامن الداء ثلم ، ودوائي الذي يأسو جراح الزمن كلات . وكان هذا هو كل ما أملك ... أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يمخر العبــاب والضباب إلى شواطئ الفناء !

وبعد ، لقد كنت رحيماً به حين أخذته ... لقد تحملت سنواته السبع والعشرون فوق مايحمل طوق الأحياء من عبادك !!

جيته بعد قرنين من ميلاده :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا في عدد أكتوبر من مجلة « الكتاب » جاء فيه : « كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين ، وهو إمام الوجودية الألمانية غير مدافع ، وله آراء في علم النفس وأدب السلوك تعد من مبتدعات المذاهب الأخلاقية في القرن العشرين ، ومن أجل هذه الآراء يعول على تقديره لشاعر الألمان الأكبر جيته في ذكرى ميلاده ، بعد انقضاء مائتي عام على ذلك الميلاد ... قال ياسبر عن منزلة جيته الأدبيــة : إنه وإن يكن أعظم الشعراء الغنائيين في الألمان ، وعلى الرغم من التقدير العالمي العظيم الذي نالتــه روايته (فاوست) ، لا يقف في عالم الأدب موقف الند من هومير أو دانتي أو شكسبير على أساس عمل خاص من أعماله . ولكنه منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ، وهي تلك الشخصية التي كان الشعر والبحث العلمي والجهود العملية من عناصرها الأولية !

وتقدير ياسبر هذا يطابق تقديرنا للعبقرية الألمانية العظيم فيما كتبناه قبل سبع عشرة سنة ، لمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته ، فقد قلنا عنه في رسالة صغيرة : إن جيته من العبقريين الذين لا يغني قليلهم عن كثيرهم لأنه لم يجمع نفسه في قطعـــة واحدة ولا موضوع واحد . فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لا يدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لا يدل على جملة الموضوع ، فكل فكرة له هي أصغر من الرجل في جميع أفكاره » !

أود أن أقف قليلا لأناقش هذه الآراء ، وأول شيء يستوجب الوقوف ويدعو إلى التعقيب قول الأستاذ العقاد إن كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع . وأظن أن تاريخ الفلسفة المعاصرة سيقرر أن الفيلسوف الألماني هيدجر لا « ياسبر » هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع ... وحسبنا في مجال التدليل على صحة هــذا الرأي أن نقول إن الوجودية الفرنسية عند « سارتر » قد اتجهت في تقرير مذاهبها إلى الوجودية الألمانية عند « هيدجر » ، وأن فلسفة هذا الأخير كانت المنبع الأصيل الذي تدفقت منه القطرات الأولى في الوجودية السارترية ، أو الحقل الأول الذي استمد منه الفيلسوف الفرنسي بذوره الفكرية الضخمة ، تلك التي أينعت وأثمرت في الوجود والعدم « L' être et le néant » ...

أما عن رأي ياسبر في منزلة جيته الأدبية فهو رأي عجيب ، ومصدر العجب فيه تلك الموازنة بين أديب وأديب على أساس عمل خاص من أعماله الفنية ... إن الموازنة على هــذا الأساس باطلة ، لأن الميزان الحق لأقدار الأدباء لا يقام على أساس فكرة واحدة أو رأي واحد أو كتاب واحد يضم بين دفتيــه عدداً من الآراء والأفكار ، وإنما يقام الميزان الحق في مجال الموازنة بين

أديب وأديب بأن يوضع إنتاج هذا كله فى كفة ، وأن يوضع فى الـكفة الأخرى إنتاج ذاك .. عنـدئذ يصح الحـكم ويستقيم التقدير لأننا نضع عالماً من الفـكر أمام عالم ، ونقابل فى ميـدان الذهنية المبدعة بين حياة وحياة . إننا إذا وازنا مثلا بين فاوست والإلياذة ، أو بين فاوست والـكوميديا الإلهية ، أو بين فاوست وهملت ، لنخرج من هذه الموازنة بأن جيته على أساس هذا العمل الخاص من أعماله لايقف موقف النـد من هومير أو دانتى أو شكسبير ، كنا كمثل من يوازن بين شارع فى برلين وثلاثة شوارع أخرى فى أثينا وروما ولندن ، لندلل على أن المدينة الأولى لاتقف فى مجال الضخامة أو الجمال أو النظافة موقف النـد من المدن الثلاث الأخريات .. تلك ولا شك موازنة لا تليـق ومنطق لا يروق !

ورب قارئ يعترض على نقدنا لهذا الشق الأول من رأى ياسبر بأن الشق الأخير يتفق وهذا التصحيح ، وهو الشق الذى ينادى فيه الفيلسوف الألمانى بأن جيته منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته .. إن ردنا عليه هو أن جيته ليس منقطع النظير فى رأى ياسبر بمجموعة أعماله الأدبية وحدها ولـكنه منقطع النظير بشخصيته المتـعددة الجوانب والمواهب والملكات ، ويدخل فى ذلك أدبه وبحوثه العلمية وجهوده العملية !

وأعجب العجب بعد هذا كله أن ينظر الفيلسوف الألمـانى ياسبر إلى الشاعر الألمانى جيته نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من شكسبير ، وأن ينظر الكاتب الإنجليزى كارليل إلى الشاعر الإنجليزى شكسبير نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من جيته .. ذلك لأن لـكارليل فى شاعر الألمان الأكبر رأياً معروفاً سجلته من قبل على صفحات الرسالة ، وهو أن جيته أعظم أدباء العالم بلا استثناء !!

حديث لم يخطر لى على بال :

فى العدد (٢٢٥) من مجلة المسامرات ، وفى الصفحة الثامنة والعشرين يمكنك أن تقرأ مقالاً هذا عنوانه : « بين الشيوخ والشباب ما صنع الحداد » .. مقالا مهدت له المجلة بهذه الـكلمات « هى معركة لم تنته بعد ، بين الشيوخ والشباب .. فأولئك يتهمون الجيل الجديد بالسرعة وعدم الاستقرار ، وهؤلاء يتهمون السـالفين بالجمود والرجعية . وفيما يلى تعرض « المسامرات » مجموعة إجابات من الجيلين » .

وبعد أن سجلت المجلة عدداً من الآراء لفريق من شيوخ الأدب وفريق من شبابه ، بعد هذا جاء دور أنور المعداوى فقال : « إننا نقدر الشيوخ لأنهم فتحوا أعيننا على الـكثير ، وهذا التقدير يقف حائلاً بيننا وبين إعلان سخطنا عن التواء بعضهم .. إن الـكاتب ينبغى أن يكون إنساناً قبل كل شىء . وحينما يكون إنساناً تسقط عنه العصبية السخيفة ، فلا تجد فارقاً بين كاتب وكاتب .. وما أقل الـكاتب الإنسان عندنا » !

أشهد أن حديثاً كهذا لم يخطر لى على بال ، وأشهد أن مجلة المسامرات لم تسألنى فى أى يوم من الأيام عن رأيى فى أى موضوع عرضت له ، ولو سألتنى لما أجبت .. لأن فى مثل هذه الأحاديث سخفاً لا أحب أن أشارك فيه ، ولـكنها الصحافة المصرية تنطق الناس بما تشاء لا بما يشاءون ! صدقنى لو أنطقتنى «المسامرات» بما يمكن أن أنطق به لهان الأمر ولـكنها — عفا الله عنها — قد جعلت الشيوخ — مع احترامى لهم — يفتحون عينى على الـكثير ، وجعلتنى — سامحها الله — إنساناً بلغت به الإنسانية ذلك الحد من التسامح الذى لا أفرق عنده بين كاتب وكاتب ! ..

إن مجلة « المسامرات » تذكرنى ببعض كتاب القصة والمسرحية فى مصر ، أولئك الذين ينطقون أبطال خيالهم بما لا يمكن أن تنطقهم به الحياة !!

حول الأمانة العلمية فى الجامعة :

يذكر القراء تلك القضية التى عرضتها على محكمة الرأى العام الفنى فى عدد مضى من « الرسالة » ، وأعنى بها قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة ، هما الدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور جمال الدين الشيال . ولقد سألنى الـكثيرون لماذا لم يرد الدكتور شكرى على ما اتهم به من السطو على رسالة زميله وقد انقضت على ذلك أيام وأيام ؟ ... أما أنا فقد كنت على وشك أن أعقب على موضوع الأمانة العلمية ظناً منى أن الدكتور شكرى قد آثر السلامة فلاذ بالصمت ، ولـكن أحد زملائه فى الجامعة قد أنبأنى بأنه متغيب عن وطنه منذ بعيد فى مهمة سياسية ، ولهذا أرجىء التعقيب مرة أخرى حتى يعود ونسمع دفاعه .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ابو الحسب والنسب:

هذا هو اسم المسرحية التي قدمتها أخيراً الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية، وهي للكاتبين الفرنسيين إميل أوجييه وجورج ساندو، وقد ترجمها محمد عبد المنعم سعيد بك، وأخرجها الأستاذ فتوح نشاطي المخرج بالفرقة. وتجرى وقائع هذه المسرحية في القرن التاسع عشر بفرنسا، وهي تعرض ناحية من الصراع الاجتماعي بين طبقة الأشراف التي كان قد تضاءل نفوذها وانحسرت سيادتها عن المجتمع، وبين الطبقة الوسطى التي يمثلها رجال الأعمال الذين وصلوا إلى الغنى بكدهم وارتقت بفضلهم التجارة والصناعة، ويتجه سير المسرحية إلى السخرية من طبقة الأشراف وانتصار طبقة العاملين عليهم، فكان الغرض واضحاً، كما أن المنهج طبيعي والعرض طلي، بحيث يشعر المشاهد أنه يواجه موضوعاً مهماً، وفي نفس الوقت يحس بالطرافة والمتعة الفنية. وقد استطاع المترجم أن ينقل تلك المقاصد حية نابضة، بأسلوب لا بأس به، غير أنه لم يراع السلامة اللغوية في بعض العبارات، ولا تزال تطن في أذني كلة «المابة» التي رددها أبطال المسرحية في قولهم «القرض بفائدة ستة في المابة» بفتح الميم الممدودة..

وتتلخص المسرحية في أن «المركيز دى بريل» تزوج من «أنطوانيت» ابنة «المسيو بواريه» التاجر الغني، ويبدو هذا الزواج في المشهد الأول على أنه صفقة رضى بها المركيز المفلس ليستمتع بثروة صهره ويحيا حياة الترف والتبطل التي اعتادها، كما اغتبط بها المسيو بواريه ليستفيد من لقب المركيز وهو يطمع في أن يصل بهذه المصاهرة إلى عضوية الشيوخ، وقد أنس من ابنته حبها للمركيز. ونعلم بغرض المركيز من هذه المصاهرة، من حديث يجرى بينه وبين صديقه «الدوق دى موغران» الذي يعمل كجندى في الجيش بأفريقية، وقد قدم في إجازة؛ أما المسيو بواريه فهو يعرب عن آماله لصديقه وشريكه «فردليه» وهو «عراب» أنطوانيت، ويخيل إلى أن الجمهور لم يدرك معنى كلة «عراب» والمقصود بهما مايسمى في العرف الكنسي بعصر «الشبين» الذي يكفل الطفل من وقت «تعميده» أي يرعاه ويعطف عليه. والكلمة «عراب» لا تستقيم عربية، ولعلها سريانية.

يلاحظ فردليه أن صديقه ينفق على المركيز المفلس المسرف المتبطل، وأن المركيز يستهين بزوجته أنطوانيت، فيحرض المسيو بواريه على أن يضع حداً لهذه الحال فيطلب من المركيز أن يبحث له عن عمل. وما إن يفاتح المركيز في ذلك حتى يأبى في تشمخ واشمئزاز، وتسوء العلاقة بين الصهرين، ويشعر المسيو بواريه أن زوج ابنته يحتقره، فيقابله بالمثل ويعنف به، ويرتب الأمور على أن يطرده من القصر. ومرة يلين المركيز في مناقشة صهره حتى يستدرجه إلى البوح له بأنه يطمع أن ينال بجاهه عضوية الشيوخ فيهزأ به وتزداد الحال بينهما سوءاً.

وفي خلال تلك الحوادث نرى الفتاة الوديعة أنطوانيت تتودد إلى زوجها الذي يستخف بها أولا ثم لا يلبث أن يشعر نحوها بشيء من الحب.

ثم يتحرج موقف المركيز عندما يكشف الجميع عن علاقته بمدام «دى موتجيه» بوساطة رسالة منها إلى المركيز تقع في يد المسيو بواريه فيفضها ويطلع أنطوانيت عليها فتكاد تصعق منها. ويهدد الرجل صهره برفع الأمر إلى القضاء ليفصل بينه وبين ابنته التي تحطمت سعادتها. فيغضب المركيز خوفاً على سمعة خليلته، ولكنه يخضع لصهره فيرجوه ألا يفعل ويعده بأن يقطع علاقته بها وأن ينزل عند رغبته في مزاولة عمل، وتدخل أنطوانيت وتخطف الرسالة من أبيها معلنة أنها صاحبة الحق وأنها هي التي ستقاضي زوجها. ويفاجأ المركيز بما يدهشه من نبل زوجته إذ تمزق الرسالة وتلقى بها.. ويتقدم إليها في احترام، ولكنها تصده وتعلن أنها أرملة منذ اليوم.. ويحاول المركيز أن يستغفر زوجته. ويقبل عليها أخيراً وقد اعتزم مبارزة منافس له في «مدام دى موتجيه» فتمنعه أنطوانيت فيأبى التخلف عن المبارزة

ولكنها تقول له إنها تعتبر عدوله عن المبارزة دليلا على حبه إياها ، فيدل ، فتطلب منه أن يذهب إلى المبارزة محافظة على كرامته وشرفه ، فيهم بالذهاب فترد إليه رسالة من منافسه بعدوله عن المبارزة .

وفي هذا الجو العابق يعبر المركيز عن اقتناعه بضرورة أن يعمل عملا يعيش منه ، فيتقدم « فردليه » ويهدى إلى المركيز وزوجته قصر أجداد المركيز الذي كان قد اشتراه وما يحيط به من المزارع ليعمل المركيز في استغلالها ، وبذلك تنتهي المشاكل كلها حتى تطلع المسيو بواريه إلى عضوية الشيوخ .

وكنت أفضل أن يظل المسيو بواريه طامعاً في عضوية الشيوخ ، فإن المركيز لم يقدم شيئاً ، بل هم الذين كانوا له وصفحوا عنه وإن كانوا قد أذلوا كبرياءه ، ولكن لا يوجد ما يحمل الرجل يتنازل عما يطمح إليه .

وأبطال القصة سماتهم واضحة ما عدا اثنين : صديق المركيز ، وصديق المسيو بواريه ، وقد مثل المركيز « فاخر فاخر » ومثل المسيو بواريه « حسين رياض » وقد اندمج كل منهما في دوره اندماجاً كلياً حتى نقلانا إلى فرنسا في القرن التاسع عشر

وكان حسين رياض يعبر بكل لفظة وكل حركة ، حتى حركة قدمه التي كان يرفعها في وجه المركيز احتقاراً له .

ومثلت أنطوانيت « أمينة رزق » فأجادت تمثيل الفتاة الرقيقة الخاطفة لزوجها ، ثم الفتاة الشموس التي تغضب لكرامتها وتمزج هذا الغضب بالنبل الذي يصفع نبــل « الأشراف » ولكنها أسرفت في مظاهر النبرة بالبكاء والنحيب كدأبها ... ولست أدري أهذه النبرة الشديدة من امرأة فرنسية في أصل المسرحية أم حدث تعديل يمكن لأمينة رزق من هذا الذي عرفت به ...

وأجاد فؤاد فهيم في تمثيل الطاهي الذي يزدهي بمراتبه في فن الطهي ، وكان هذا الدور من تمام السخرية من الأرستقراطية إذ ينتسب إليها الطاهي ويفخر بأجداده وماضيهم في المطابخ !

ومثل صديق المركيز « كمال حسين » ومثل فردليه « محمود رضا » والشخصية الأولى مائعة لم تدل صفاتها وتصرفاتها على طبقة من الطبقتين ، والشخصية الثانية تافهة غير جديرة بما نسب إليها من التأثير في أنطوانيت ولعل ضعف تمثيل الشخصيتين أتى من ذلك ...

كشكول الأسبوع

□ استأنفت لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عملها في نقل هذه الدائرة القيمة النافعة إلى العربية ، وهي تصدر في ليدن بالإنجليزية والفرنسية والألمانية . وكانت اللجنة قد انقطعت عن هذا العمل الجليل بعد أن ترجمت ثمانية مجلدات بها أكثر من ثلاثة آلاف مادة في شتى الموضوعات الإسلامية ، وقد بدأت نشاطها أخيراً بإصدار ستة أعداد من الدائرة .

□ يشتغل الأستاذ محمود تيمور بك الآن بوضع مسرحية عنوانها «أنا ابن جلا» تدور حوادثها حول شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي

□ تعتزم وزارة المعارف إنشاء نادٍ مصري في باريس وإلحاق مركز ثقافي به ، على غرار النادي والمركز اللذين في لندن . وستقوم وزارتا المعارف والخارجية بتزويد هذا المركز الثقافي بالمؤلفات والإحصاءات والرسوم البيانية التي تحقق أغراضه وأهمها تعريف العالم الأجنبي ببلادنا .

□ أبدت هيئة اليونسكو رغبتها في أن يقام بمقرها في باريس ، معرض الفن الشعبي المصري الذي تنظمه وزارة المعارف المصرية ، وأن ترعى هذا المعرض وتدعو إليه ، وقد وافقت وزارة المعارف على ذلك .

□ قال الدكتور يحيى الخشاب مدير المطبوعات في حديث صحفي : يجب أن يتجه أصحاب الأقلام إلى الأدباء الناشئين ، لكتابة القصة ونظم الأغاني ، فإن ذلك يرفع مستوى الفلم المصري .

□ من التصرفات العجيبة لبعض زملائنا الصحفيين ، أن أديباً كتب بإحدى الصحف مقالاً جاء فيه ذكر كتاب « صور من الدقي » فحذف سكرتير التحرير اسم الكتاب من المقال ، فلما سأله الكاتب عن ذلك أجاب بأنه لا يتفق مع سياسة (الجورنال) فقال له الأديب ساخراً : ألا يكتب (الجورنال) شيئاً عن «عبد الحليم بن عبد الحميد...»!!

□ عهد إلى قسم خاص بكلية الطب في إعداد بحث وافٍ عن طب ابن سينا وما جاء به زيادة على طب اليونان ، وذلك لمناسبة قرب الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا

□ يشتغل الدكتور محمد هاشم وزير الدولة بوضع مشروع عام لإصلاح الإذاعة وبرامجها .

□ وضع الكاتب الفرنسي أندريه جيد مؤلفاً باسم كاتب من الكتاب المجهولين ، ليعرف رأي النقاد والقراء فيه غير متأثرين باسم المؤلف ، فكانت نتيجة التجربة أن أغفل الكتاب وأهمله النقاد واكتفى بعض الصحف بمجرد الإشارة إلى ظهوره .

□ وضع الأستاذ كامل عجلان مسرحية باسم « سلطان العلماء » تدور حوادثها حول «العز بن عبد السلام» شيخ الإسلام في مصر لأول عهد المماليك . وسيمثلها فريق الأزهر للتمثيل قريباً .

□ في صباح يوم من الأيام التقى أحد « أولاد البلد » بالأستاذ شوقي أمين سكرتير مساعد رئيس المجمع اللغوي ، فقال الأول : «صباح الفل يا ست نرجس» قال الأستاذ اللغوي رداً على التحية : « صباح الإذخر يا ماءة معار ! » .

العربية بين الباكستان والبلاد العربية :

قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى السيد شودرى خليق الزمان (لا خالق الزمان كما ذكرت بعض الصحف) رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان . وزيارته لمصر جزء من برنامج رحلته فى البلاد العربية التى يقوم بها لبث الدعوة إلى اتحاد إسلامى عام تتكتل فيه جميع البلاد الإسلامية .

وقد دعت الجالية الباكستانية فى القاهرة يوم الأربعاء الماضى ، طائفة كبيرة من رجال الفكر والصحافة وعلماء الدين ، إلى الاجتماع بدارها حيث تحدث إليهم السيد خليق الزمان ، وقد بين فى حديثه ضرورة تكتل المسلمين وتعاونهم على الأخذ بوسائل التقدم وأسباب القوة ، وأبرز فكرة « الجنسية الإسلامية » التى تقوم على الترابط والتواد بين كافة المسلمين فى مختلف ديارهم ، ومما قاله أن بعض المفكرين يدعون إلى الاقتداء بالغرب ، وبعضهم يقول بالنظر إلى الشرق ، ولكنى أقول : يجب أن ننظر إلى ذاتنا وإلى إلهنا .

وكان الزعيم الباكستانى يتحدث باللغة الأردية ، وهى لغة التخاطب السائدة فى الهند والباكستان ، وترجم عنه إلى العربية الأستاذ الأعظمى عميد كلية اللغة العربية فى كراتشى . وقد شعر الجميع بالتقارب الفكرى والوجدانى بينهم وبين الضيف الكبير الكريم ، على رغم الاختلاف فى اللغة ، ولا شك أن لاتحاد اللغة شأناً كبيراً فى جمع المتكلمين بها على المودة والأخوة ، وأنا أعتقد أن الباكستان تدنو من أخواتها الإسلامية التى تتكلم العربية ، وتحقق هدف الاتحاد المنشود ، باتخاذها العربية لغة لها . ولا يقل هذا شأناً — إن لم يزد — عن الوسائل الأخرى من الدعوة المباشرة وغيرها .

ولا أريد أن أثقل على إخواننا الباكستانيين بتكرار ذلك الذى قلته فى مناسبة سابقة ، وإنما أستبشر بما تنقله إلينا الأنباء عن حركة تعلم العربية فى الباكستان ، وما تبذله الدولة فى هذا السبيل ، وهى لاتزال فى أوائل سنتها الثالثة ، وأستشرف إلى المستقبل القريب الذى نرى فيه الباكستان أمة مسلمة متعربة .

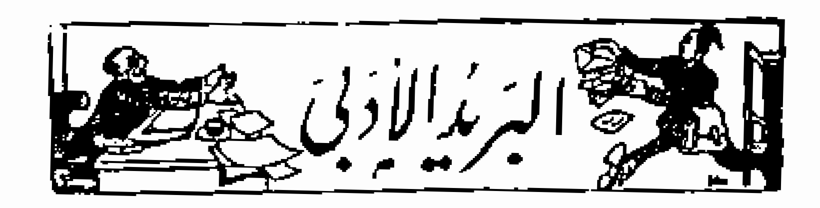
وقد لاحظت كثيراً من الكلمات العربية فى خلال حديث السيد خليق الزمان ، ويقال إن اللغة الأردية تحتوى من الكلمات العربية ما يقدر بنحو خمسة وستين فى المائة من مجموع ألفاظها ، ولذلك لم يجد الباكستانيون الذين أقبلوا على تعلم العربية صعوبة فيها ، وقد تقرر تعليم اللغة العربية فى مراحل التعليم ابتداء من السنة الأولى الثانوية . وهناك « الجمعية العربية العامة » التى يرعاها وزير المعارف ويرأسها شيخ الإسلام ، ولهذه الجمعية سنة طريفة فى الحث على التخاطب باللغة العربية ، فهى تفرض على من يتحدث فى دارها أن يدفع عن كل لفظة غير عربية ما يعادل خمسة مليمات مصرية . .

وقد جرى حديث بينى وبين باكستانى كبير فى موضوع نشر اللغة العربية فى الباكستان ، قلت له : لماذا لاتكثرون من بعثات الطلاب إلى مصر ، ليتعلموا فى معاهدها باللغة العربية ، ويكتسبون القدرة على هذه اللغة من البيئة المصرية ؟ وجهت هذا السؤال وأنا غافل من خرق واسع فيه . . قال : إن طلابنا الموجودين فى مصر يشكون من اللغة العامية التى تتحدثون بها لا فى الأسواق فحسب ، بل كذلك فى دور التعليم ومجالس المتعلمين فكيف يكتسبون القدرة على الحديث بالعربية من هذه البيئة ؟

سمعت ذلك فلم أستطع إلا أن أهز رأسى آسفاً على هذه الحال وذكرت ما وقع لأحد المستشرقين ، وقد جاء إلى مصر لأول مرة بعد أن درس اللغة العربية فى بلاده هو وزوجته حتى أصبحا يتخاطبان بها ، فلما نزل بأحد الفنادق بالقاهرة وجاءه الخادم ، قال له : أريد طعاماً . فانصرف الخادم ثم عاد يحمل إليه (طعمية) فقال له : ماهذا ..؟ أريد شواء . قال خادم الفندق : (مش قلت إنك عاوز طعمية !) فبهت الرجل . . وكتب إلى زوجته يقول : لقد نزلت بالقاهرة زعيمة العواصم العربية ، فلم أجد بها من يتحدث باللغة العربية غير زوجك العزيز !

والعجيب أو المخجل أن كثيراً من « المثقفين » المصريين الذين يجتمعون بهؤلاء الأجانب المتعربين ، لايبادلونهم الخطاب بالعربية ، بل يحدثونهم بالعامية فلا يكادون يفهمون منهم شيئاً ، ويتجافون من المجالس ، مجالس المتعلمين ، التى يدور فيها الحديث بالعامية .

وأعود إلى الموضوع ، فأقول مع ذلك : إن تفشى عاميتنا فى



بواسل من فمن الشول :

١ — حمل إلينا بريد الرسالة الأدبي في العدد (٨٤٥) كلاماً للأستاذ الفاضل السيد أحمد صقر فيه سب وسخط على المعقبين اللغويين ، ورد ما كتبناه في العدد (٨٤٣) تخطيء فيه استعمالهم بواسل صفة لجمع مذكر عاقل ، وتوا بمعنى الساعة أو حالاً ، وذكر أن بواسل مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، وأورد شاهدين لذلك ، الأول : قول باعث بن صريم اليشكري من شعراء الحماسة يذكر يوم الهاجر :

وكتيبة سفع الوجوه (بواسل) كالأسد حين تذب عن أشبالها

والثاني قوله :

فلا توعـــدونا بالحروب فإننـــا
لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

وذلك فيه وهم كبير ، إذ المعروف عند النحويين أن فواعل جمع لفاعلة — غير شواذ معدودة — فبواسل جمع لباسلة في هذين الشاهدين ، ففي الأول يصف الشاعر كتيبة وفي الثاني يصف أسداً خادرات ، فاذا بقي إذن في شاهدي الأستاذ ؟ ونحن قد قلنا إن بواسل خطأ حينما تكون وصفاً لجمع مذكر عاقل .

التو بمعنى الساعة خطأ :

٢ — وأما تصويبه قولهم ذهب توا ، وإيراده نصين من الفائق والقاموس ، فقد عجبت له لأني قد حصلت ما أورده في كلمتي القصيرة «التو بمعنى الفرد ، فذهب توا أي فرداً أولم يلوه شيء والصواب توه» هذا هو ما في المعاجم بمعناه لا بلفظه ، فإن المعاجم كلها ذكرت مكان لم يلوه ، لم يعرجه ، وفي المعاجم كلها أن التو بهاء الساعة — وقد أورد الأستاذ ذلك وغفل عنه — وكنا قد قصرنا الخطأ على التو بمعنى الساعة ، ومما يزيد هــذا الخطأ إيضاحاً قولهم أيضاً ذهب في التو والحظة فيجعلون التو مرادفا للساعة وذلك خطأ أجمعت عليه كتب اللغة .

(المنصورة) عبد الجليل السيد حسنه

خطيئة داود :

طالعت في كتاب (صور من الشرق) للأستاذ كامل منصور قصة «خطيئة داود» فطالعت فرية على نبي من الأنبياء وهو داود عليه السلام فقد اختلف العلماء والمفسرون في قصته التي ترتب عليها ما ترتب فقيل إنه عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا من مؤمني قومه — وفي بعض الآثار أنه وزيره — فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل وتزوجها وهي أم سليمان وكان ذلك جائزاً في شريعته مألوفاً فيما بين أمته إذ كان يسأل أحدهم الآخر أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها وقد كان الرجل من الأنصار في صدر الإسلام إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتخذه أخاً له من المهاجرين لكنه عليه السلام لعظم منزلته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه ، بل كان يجب عليه أن يغالب ميله الطبيعي ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به .

هذا ما ذكر من قصته في أضعف وجوهها وهي القصة التي

الحديث العادي لا ينبغي أن يحول دون الإكثار من البعثات الباكستانية ، فنحن نعمل على التقريب بين العامية والفصحى بالتعليم ووسائل النشر المختلفة ، وليس من بأس ولا كبير عناء في أن يلموا بالضروري من العامية ، وهي قريبة من الفصحى كما أنها تتشابه في البلاد العربية المختلفة التي تتجه الباكستان نحو مودتها ، وهم مع ذلك لن يعدموا مواطن الفصحى وأدواتها في مصر .

عباس خضر

أخذها الأستاذ كمال منصور فى كتابه . غير أنه جعل النبى داود يزنى وتحمل هذه المرأة من سفاح ويقتل زوجها و . . و . . مما لا يليق ببشر عادى ؛ فالأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم فى شىء منها ضرورة إنا لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشىء مما يذكرون .

عزت محمد منصور

دم الكبش ودواء الكلب :

قرأت لأديب — فاتنى اسمه — كلمة يقول فيها « .. وكان المرضى فى الجاهلية الأولى يتداوون بدم « الكبش » فى شفائهم من داء « الكلب » ... الخ » !

قلت : الأديب — وعله من طلاب الطب البيطرى — اختلط عليه الطريق ، وفهم ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .

و « الكبش » فى لغة العرب بمعنى « السيد أو الرئيس » وفلان « كبش القوم » أى « سيدهم ورئيسهم » المطاع ... وسيد القوم خادمهم (١) . قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت « كبشهم » (٢) ولم أر من نزال الكبش بدا

وبعض الأعراب فى الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون بدم الرئيس (الكبش) لمكانه منهم ، وإمرته عليهم ، وأنه يشفى من داء « الكلب » . وفى ذلك يقول شاعرهم :

بناة مكارم وأساة جرح دماؤهم من الكلب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب !

ولست أدرى — والحق يقال — فضل دم الرئيس على دم المرؤوس فى شفاء « الكلب » إن كان ثمّ شفاء !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فإنى أذكر أن العرب كان من عاداتهم الفاشية إلى يومنا هذا أنهم إذا رحل منهم الضيف واستكرهوا رجعته كسروا فى إثره شيئاً من الأوانى والقدور .

وفى ذلك يقول قائلهم :

كسرنا القدر بعد أبى سواج فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا !

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان فى إثر ضيفنا ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

وبعد : فمعتقدات القوم فى الجاهلية الأولى جلها أباطيل ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

(الزيتون) عرفان

١ — إلى الأستاذ أنور المعداوى :

أقدم تحيتى وأرجىء الإفصاح عن إعجابى وبعد ، أردت النظر فى ميثاق جامعة الأمم العربية وفى ميثاق هيئة الأمم ، وقراءة بعض ما كتب من تعليق عليهما فتوجهت بطبيعة الحال إلى مكتبة الأسكندرية .

فهل وجدت من ذلك شيئاً ؟! كلا !!

بل خرجت منها وأنا أتساءل فيما بينى وبين نفسى : أيتجشم الإنسان مشقة الانتقال وضياع الوقت فى الذهاب إلى المكتبة العامة ليقرأ رواية « اللص الظريف » أو « المرأة النادرة » ؟ وأين إذن أستطيع قراءة الوثائق والكتب العلمية إن لم أجدها فى المكتبة العامة ؟ ولم أطلب شيئاً عسيراً بل شيئاً مشهوراً لا تخلو من الحديث عنه صفحات الجرائد كل يوم .

ثم دعانى داعى الإنصاف إلى الاعتذار عن المكتبة بعدم ظهور كتب تتناول نشر الميثاقين أو الحديث عن الميثاقين . وأردت التأكد بنفسى فما هى إلا جولة حتى خرجت من عند بائع الكتب وأنا أتأبط كتابين ولشدة حاجتى للالمام بالموضوع دفعت فيهما ما يقرب من جنيهين .

وتساءلت مرة أخرى : ألا يتمكن الفرد من معرفة ما يعرض له أثناء البحث — على كثرة ما يعرض له — إلا إذا كان يملك

---

(١) قال حاتم :

إذا مات منهم « سيد » قام بعده نظير له يغنى غناه ويخلف

(٢) أى سيدهم ورئيسهم

الوسيلة إلى الشراء ! وإذا كان الأمر كذلك فإلى أى حد تتحمل مالية الإنسان مهما عظمت تكاليف الكتب مع تعددها وارتفاع أسعارها ؟!

لقد كانت مكتبة الأسكندرية — يرحمها الله — موجودة حقاً منذ ألفى عام حين كانت تقدم الزاد الدسم فيعجز عن هضمه العلماء الكبار ؛ أما الآن فقد أصبح كل ما فيها من زاد لا يكاد يقيم أود الصغار .

وذكرنى ذلك بالموقف الذى قاساه من قبل الأستاذ عباس خضر « فى قاعة المطالعة بدار الكتب [١] » وعدت لأقرأ من جديد ما كتب ولأجد فيه بعض العزاء .

والآن يطيب لى أن يثار هذا الموضوع مرة أخرى . إن عشرات الكتب العلمية تنمر السوق كل يوم ، وكلها مما يحتاج الباحث إلى الإلمام بها أو ببعضها .

وإذا كانت وزارة المعارف — سامحها الله — قد ألجأتنا بإفقار مكتباتها المدرسية — إلى المكاتب العامة فلا أقل من أن نجد لدى الأخيرة بغيتنا ، وإلا فنحن نزود الراسخين عن الإطلاع ونزود المبتدئين بالحجة التى تدفع عنهم لوم اللائمين ثم لتسلكهم بعد حين فى عداد الجاهلين .

حقاً إنه لموضوع يستحق من قلم صاحب التعقيب تعقيباً يكون له عند المسئولين صداه . وعسى أن تستأنف المكاتب العامة سيرها فى ركب الحياة .

(١) الرسالة : العدد ٨٣٦ السنة السابعة عشرة ص ٢٠٠٢ .

٢ — حول مسئولية الاحتلال :

« سألنى بعض حضرات القراء عن المرجع الذى اقتبست منه بعض الفقرات التى استشهدت بها لتأييد الرأى الذى ذهبت إليه فى تحديد مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر بالمقال المنشور بالرسالة عدد ٨٥٠ .

ويسرنى أن أشير إلى أنه كتاب المسألة التونسية وموقف الدول العظمى منها للدكتور محمد مصطفى صفوت أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فاروق الأول . وأن التنويه بذكره قد سقط أثناء الطباعة سهواً » .

كمال السيد درويش

مدرس بالرمل الثانوية



أبو العتـــاهية

تأليف الأستاذ محمد أحمد برانق

للأستاذ كامل محمود حبيب

المدرس رجل نال حظاً كبيراً من الأدب والعلم، وأصاب قسطاً وافراً من أصالة الرأي وصفاء الذهن، وجمع بين الثقافة العالية والتفكير الرصين؛ فهو أجدر الناس بأن يخوض معمعة النشاط الأدبي والعلمي، فعنده الاستعداد وبين يديه الأداة. ولكن الإنسان ليعجب أشد العجب أن يرى المدرس أقل الناس إنتاجاً وأبعدهم من معترك التأليف وأقصاهم عن مجال البحث. فماذا، يا ترى، زهده في هذه اللذة الفكرية وأن فيها لحياة للقلب وشحذاً للذهن وصقلاً للعقل؟ أما أنا فلا أرى ما يدفعه عن ميدان الفكر إلا ما يعاني من عنت شديد في العمل وما يقاسي من إرهاق عنيف في المدرسة، فهو لا يكاد يخلص من الدرس إلا ليندس بين أكوام من الكراسات تستحثه وترهقه وتشغل باله وتقتل وقته. وهكذا يبدد عمره في إعداد الدرس ويفنى عقله في تصحيح الكراسات، ثم لا يفلت من هذا كله إلا ليلقى بنفسه في خضم الدروس الخاصة وما به لهفة إليها، أو إلى مضطرب التأليف المدرسي وما به رغبة إليه. ولكنها حاجات العيش ودوافع الحياة وطلبات الدار والولد تقذف به في غير هوادة ولا لين إلى إلى هذا السبيل علة يجد القوت الكريم واللباس الشريف والسكن اللائق. ولشد ما يدهش المرء حين يرى جيشاً لجباً من المدرسين المثقفين — يربو على سبعة آلاف — فلا يرى فيهم من يحن إلى البحث العلمي أو من يصبو إلى التأليف الأدبي، اللهم إلا فئة قليلة لا تتجاوز العشرة! فالمدرس — إذن — رجل يموج بين الإرهاق والإملاق، فإن عكف على الحياة العقلية أو حل نفسه على الناحية الأدبية أخرج للناس شيئاً فيه روح نفسه المضطربة وفيه سمات حياته المزعزعة.

وأشهد أن صاحب كتاب «أبو العتاهية» رجل من الفئة القليلة، صبر على الجهد ورضي بالمشقة ليخرج بحثاً أدبياً فيه الاستقصاء والجهد والاستنتاج.

لم يكن أبو العتاهية شاعراً يتحدث عن خلجات قلبه ولا مفكراً ينطق بعقله، وأنى له أن يفعل وهو «رجل فقير نشأ في بيت متواضع وصنع الجرار مع أبيه، فإذا نضجت الجرار حملها أبو العتاهية، أو حملها أكثر معه على ظهره، وسار بين الحوارى والأزقة في مدينة الكوفة يبيع جراره ويساوم في ثمنها، فإذا ألهبت الشمس قفاه ومس حر التراب الخمص قدميه وبلغ منه التعب مبلغه — أجاءه ما به إلى ظل حائط، فيحط حمله، ويجلس مستنداً إلى الحائط ظهره، ويملأ الدنيا متسخطاً عليها فيلتف حوله الصبيان يعبثون به ويعبث بهم ويتبسط معهم في الحديث ...»

فهو لم يكن ذا علم وثقافة، ولم يكن ذا عقل وحصافة، فعاش حتى آخر أيامه فجاً لم تستكمل أداته ولا بلغ ذروة الشعر ولا جارى شعراء عصره — عصر الإبداع والازدهار — تتخلف عن الركب وانبهرت أنفاسه ولكنه اتخذ إلى الشهرة سبيلا هيناً سهلا، فاعتمد على كثير من بني معن يقذع له في القول ويفحش في الهجاء، في غير ذنب ولا جريرة. ولكن الشاعر — في رأيي — كان يحس في قرارة نفسه ضعة الشأن وحقارة النبت وصعوبة المرتقى فثارت تلبه غيظاً وحقداً، فوجد في الهجاء متنفساً يطفئ شرة غيظه، ووجد في هجاء عبد الله بن معن — وهو رجل عظيم من بيت كبير — طريقاً يعلو به إلى سماء الشهرة في سهولة ويسر. والهجاء فن من الشعر لا يحتاج إلى كياسة ولا يتطلب لباقة. وهكذا طار صيت الشاعر في الكوفة — أول الأمر — وامتد أفقه حين ضربه عبد الله بن معن مائة سوط جزاء ما أفحش في القول.

وفي رأي العقل أن شاعرنا كان يتصنع في كل شيء: في الهجاء وفي الغزل وفي التصوف جميعاً. يتصنع الهجاء وما به مقت ويتصنع الغزل وما به هوى ويتصنع التصوف وما به زهد.

فهو حين شبب بجارية المهدي (عتبة) كان — في رأيي — لا يبتغي من ورائها إلا أن تكون وسيلة إلى بيت الخلافة، يرتفع بها شأنه ويرتكز مكانه، على حين لم تكن به لوعة ولا كان به شوق. وإن القارئ ليعجب حين يعجزه أن يجد في نسيبه بيتاً واحداً

يقبض بعاطفة جياشة أو سطراً يخفق بحب عميق . وليس أدل على ما أزعم من قوله في عتبة وهي من أحب وتدله في حبها واصطفاها بشعره وخصها — وحدها — بقلبه .

وقد أتعب الله نفسي بها   وأتعب باللوم عـــذالها

فتعبير الشاعر عن نوازع قلبه بكلمة (أتعب) تعبير تافه لا ينطوي على شاعرية ولا سمو . فالكلمة مضطربة قلقة ، ثقيلة النطق وضيعة المعنى لا تتحدث عن صبابة وهوى ولا تكشف عن لوعة الحنين ولا تهتز بلذعة الشوق . وفيها — فوق ذلك — معاني الضيق والملل .

ومما يدل على أنه كان في غزله عابثاً لا يعبأ بمن أحب ما جاء في ص ٩٣ من الكتاب حين أنساه كلبه للمال ذكر عتبة فتقول « لو كان عاشقاً — كما يزعم — لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد عرض عن ذكرى صنمها » .

لقد اشتهر أبو العتاهية بين العامة بالزهد والتقشف ، أما أنا فلن أتحدث عن زهده فلا معدى لي عن أن أستثير رأى الحديث الشريف الذى يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخرى رجل مسلم أبداً ، ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبداً » .

وينقل المؤلف في ص ٥١ سطر ١٣ خبراً يدل على أن أبا نواس كان يجل أبا العتاهية ويعظمه لزهده وتقشفه ، فلما سأله سائل « لم أجللته هذا الإجلال ؟ » قال « ويحك ! لا تنقل ، فو الله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوى وأنا أرضى » . وهـذا كلام عجيب إخاله لا يصدر عن شاعر عبقرى فذ مثل أبي نواس تتألق روحه بومضات سماوية تزرى بكل ما نظم أبو العتاهية في الزهد . ثم يحس المؤلف كذب الحديث فيقول في ص٥٢ سطر ٤ « وأنا من الذين يرجحون أن زهـد أبي العتاهية زهد مفتعل لا يعبر عما في نفسه ولا يصور دخيلتها ولم يطرق فيه إلا المعاني العامة التي يتحدث الناس بها ، وإلا فما بال رجل هذا شعره يحرص على المال كل الحرص ويسلك مختلف المسالك لجمعه . »

هـذا ولقد رأيت في الكتاب أثر الجهد والصبر وطول البحث والاستقراء مما يدفعني إلى أن أقدر جهود الأستاذ المؤلف حق قدره وأشكره على أن أخرج لنا صورة حية ناطقة من شاعر لا يعرف أكثر الناس عنه إلا شذرات لا تغني ولا تسمن .

كامل محمود حبيب

أعلام من الشرق والغرب

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

من واجب كل أمة تريد أن تستكمل نهضتها ، وترفع من شأنها ، أن تعرف ماضيها حق المعرفة . فليست القومية الوطنية إلا التاريخ المتجدد مع الزمان . ولست أدرى كيف تريد أن نعتز بمصريتنا دون أن نعرف دقائق تاريخنا . وقد شاءت إرادة المستعمر أن يسدل بيننا وبين تاريخنا ستاراً كثيفاً من النسيان يحجبنا عنه حتى لا نتعلق بأذيال الوطنية ولا نطالب بالتخلص من نير الاستعمار فلم يكن يسمح بدراسة التاريخ القومي إلا بمقدار ، حتى إذا قامت مصر قومتها ظهر كثير من المفكرين والكتاب يحاولون تدوين ذلك التاريخ القومي الذي يصل بيننا وبين ماضينا سواء في ذلك الماضي البعيد أو القريب . وأرخ لهذا الماضي القريب الرافعي في الحركة القومية ولكنه عني قبل كل شيء بالجانب السياسي ولو أنه لم يغفل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية حتى لقد أفرد في كتابه فصولاً قصاراً ترجم فيها لبعض أعلام مصر الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوي من البارزين في سماء النهضة المصرية .

ويحتاج التحقيق التام للحركة الأدبية في القرن التاسع عشر إلى مجهودات كثيرة ينقطع فيها الباحثون إلى التأريخ لرجال الفكر والأدب في القرن الماضي .

وقد دفعت وطنية صديقنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن الشاعر الأديب إلى رسم صور محققة عن بعض أعلامنا يجد الباحث منهم العناء الشديد في التعرف إليهم . فنفض عنهم غبار النسيان وجلا للقراء صفحة مطوية من تاريخ مصر الحديث .

فهو يحدثنا عن مصطفى مختار بك أول وزير للمعارف المصرية الذي أرسله محمد علي باشا مع البعثة المصرية إلى فرنسا ، وفي تلك البعثة التي كان رفاعة الطهطاوي إماماً لها .

ويحدثنا بعد ذلك عن شاعر الخديو الأول الشيخ محمد

شهاب الدين وهو كما حدثنا صاحب هذا الكتاب « الشاعر الرسمي لمصر الحديثة . ولم يكن هذا الشيخ ربيب الأزهر وإنما كان وزاناً صغيراً في أسواق البيع والشراء . وكأن الوزن النادي في الأسواق النافقة والكاسدة كان تمهيداً للوزن المتوي في سوق القريض والقصيد فقد أصبح هذا الوزان شاعراً رسمياً للخديوي يزن القصيد ويتغنى الناس بشعره .

على أن شعر الشيخ لم يكن جيداً وقد قدم الكاتب نموذجاً لشعره وحلله إلى أن انتهى بهذا الحكم الصادق وهو « أننا نكلف رجال ذلك العصر شططاً إذا طلبنا منهم أن يكونوا أجود مما وصلوا إلينا فقد كونتهم بيئتهم ثم مهدوا السبيل بعد ذلك للبارودي الذي اجتمعت له ولعصره أسباب الأحيـــاء في الشعر العربي » .

ويحدثنا بعد ذلك عن عالم طريف مغمور هو الشيخ محمد عياد الطنطاوي الذي سافر من مصر إلى بتروجراد عاصمة روسيا يعلم اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية فكان له أثر كبير في المستشرقين من الروس . ولقد لقي الكاتب عناء شديداً في الترجمة لهذا الشيخ فأخذ يجمع سطراً من هنا وإشارة من هناك ويتصل اتصالاً شخصياً بمن يظن فيه شبهة معرفة بتاريخ ذلك الرجل حتى أخبره البروفسور ولوتسكي بالجامعة العبرية أن للشيخ مؤلفاً بعنوان تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا ، وأن الكتاب مخطوط يوجد منه نسخة في اسطنبول . ولا ريب في أن مثل هذا الكتاب طريف فريد في بابه فضلاً عن قيمته التاريخية الكبيرة ، فهو يصور الحياة في روسيا في منتصف القرن التاسع عشر بقلم مصري أزهري . فهل نطمع في قيام أحد علمائنا باجتلاب هذا المخطوط وطبعه ؟

وينتقل بنا الأستاذ عبد الغني بعد ذلك إلى الحديث عن شاعر مصري ، وقف شعره على أشراف الحجاز يسمى محمود صفوت الساعاتي ، سافر للحج فاتصل بالشريف محمد بن عون أمير مكة فقربه إليه وصحبه في حروبه مع أمراء نجد ، فصور الساعاتي هذه الحروب شعراً يذكرنا كما يقول عبد الغني بشعر المعارك عند المتنبي في القديم وعند البارودي في الحديث . وذلك مثل قوله في مدح الشريف ابن عون :

إذا تألق برق السـيف في يده أبصرت غيث دم الأبطال منسفحا
مقوم كل معوج بصـارمه فكل خصم لهذا صار منطرحا

وقد طاف الساعاتي بكثير من أغراض الشعر فمدح وطلب وعتب ورثى ، فلم يخرج في ذلك عن مألوف القدماء .

وكنا نود أن يحدثنا الأستاذ عبد الغني عن الشاعر السيد علي الدرويش بعد أن حدثنا عن شهاب الدين مباشرة لأنهما من الذين اختصهما عباس الأول بمجلسه حتى كان كل منهما يلقب بشاعر عباس الأول . وقد ترجم له ترجمة جيدة درس فيها شعره محللا أغراضه وبين الخصومة التي كان لابد أن تقع بينه وبين شهاب الدين حتى بلغ من هجاء الدرويش لخصمه أن يقول له في قصيدة يهجوه فيها :

عاش دهراً وجهله في ازدياد ليته بعد لم يكن ليعيشا .

وينقلنا المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن علم من أعلام الأدب في مصر الحديثة كان له أثر عظيم وفضل كبير على نهضة الأدب في مصر هو الشيخ حسين المرصفي الذي ظل يدرس في الأزهر إلى أن كانت نظارة علي مبارك فعهد إليه بالتدريس في دار العلوم وكان يحضر عليه كثير من أعلام العصر منهم علي مبارك نفسه . وقد اختط في تدريس الأدب العربي والبلاغة منهجاً جديداً ظاهر في كتابه المسمى بالوسيلة الأدبية قد وصفه علي مبارك برقة المزاج وحدة الذهن وشدة الحذق .

ونجد علماً آخر مجهولاً ولكنه أثر في الحياة الأدبية عن طريق الصحافة هو حسن حسني الطوراني باشا والذي دعا المؤلف أن يترجم له هو سؤال سائل في مجلة الرسالة أن يتفضل أحد الأدباء برواية قصة الشاعر المغمور . فافتتح الأستاذ عبد الغني ترجمته بعجبه أن ينسى أديب عربي مشهور وصحافي ذائع الصيت ، وشاعر قوي العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خب الطلى به عشرات القرون ؟

ولد الطوراني في مصر ولكنه تركي تنقل من بلد إلى بلد حتى قال عن نفسه :

شرق للنسر وغرب وتـــترك وتعـــرب
ولـئن أطرى وأطرب فهو نصـــاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب وهو إن أعجم أعرب

وحرر في صحف تركية وأخرى عربية كانت تصدر بالقسطنطينية وكانت تغلب عليه الروح الإسلامية ونزعة الإصلاح وله ديوان شعر ولكنه غير جيد . وقد درسه المؤلف دراسة مستفيضة فحكم

عن أغراضه وعن أسلوبه وعن مآخذ عليها في شعره .

ثم نجد فصلاً طريفاً يحدثنا فيه عبد الغنى عن شوقي وحافظ بين الكتب وهو فصل طريف لأننا على وثوق معرفتنا بشوقي وقراءتنا لديوانه وتمثيلياته وقصصه نجهل عنه بعض تآليفه مما أخرجه في صدر شبابه ؛ فأسدل عليه ستار النسيان فقد كتب شوقي رواية ظهرت في ١٨٩٧ تسمى عذراء الهند ترجع حوادثها إلى زمن رمسيس الثاني وهي أول محاولة لشوقي في معالجة الفن الروائي ولكنها لم تنجح . وظهرت له بعد عامين رواية نشرتها مجلة الموسوعات تسمى لادياس قصد منها شوقي أن يصور حالة مصر بعد عهد ابسماتيك الثاني ، وقد كتبها نثراً ولكنه نثر مطبوع بطابع العصر يمتاز بتكلف السجع وفيها يقول : « وكانت لادياس فتنة الناس ، بالبدر الطالع في الغصن المياس ... » وقد تحرر شوقي من السجع بعد ذلك كما نرى في رواية أميرة الأندلس .

ولشوقي رواية ثالثة هي ورقة الآس .

ولا أحب أن أمضي في هذا التلخيص إلى نهاية الكتاب خشية الإطالة ، فنحن نجد بعد ذلك ترجمة دقيقة للشيخ محمد شاكر الذي كان وكيلاً للأزهر في مطلع القرن العشرين وهو والد صديقنا الشيخ أحمد شاكر الذي ينشر الآن مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ويحدثنا عن أدباء عرفناهم واتصلنا بهم مثل اسماعيل أدهم وفخري أبو السعود ، وإسعاف النشاشيبي ، وأنطون الجميل .

فأنت ترى أن الكتاب قد جمع أعلاماً مختلفين اختلافاً شديداً ولكن تربطهم رابطة قوية هي رابطة الأدب في مصر الحديثة .

ويبدو أن نصيب الشعراء أوفر ولا غرو فصاحب الكتاب شاعر تستجيب نفسه إلى الشعراء فتجمعه وأياهم صلة الصناعة ، ولذلك كانت دراسته لهؤلاء الشعراء دراسة الحاذق البصير والناقد القدير .

وقد انتفى ما ذكره عن شوقي من أن نثره يكاد يكون شعراً فقيها هذه الموسيقى التي تطرب لها الآذان ولذلك حاول أن يرد بعض نثره إلى الأوزان الشعرية مثل قوله في الوطن .

ومراد الرزق ومطلبه وطريق المجد ومركبه

فهو بيت من بحر المتدارك فقلت في بالي : وأنا أقرأ أسلوب عبد الغني وأحس فيه بهذه الموسيقى التي ترتاح إليها النفس أن ذلك أثر من آثار صناعة الشعر وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده .

أحمد فؤاد الأهواني

مطبعة الرسالة